يوسف مسكوني

طريق الشعب

من زمن التنوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2290) السنة الثامنة

الخميس (27) تشرين الاول 2011

4

مسكوني الاديب والوطني

كيف عرفت يوسف يعقوب مسكوني؟

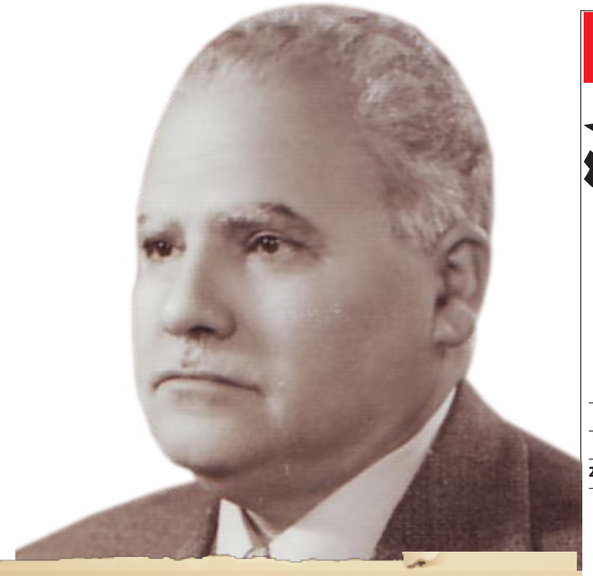

جعفر الخليلي

في الثلاثينات وانا ازاول الصحافة في النجف كنت اتردد على بغداد بين حين وأخر لتجهيز الجريدة والمطبعة بما يلزمهما من ورق، وحبر، وغراء، وغير ذلك، وكنت اهتبل هذه الفرصة فازور رهطا من الاصدقاء، على قدر الامكان، اما عبد الستار القرغولي فكان من المحتم علي ان ازوره اول من ازور لما كان بريطلي به من وشائج المودة التي كان مبعثها الزمالة يوم كنت مدرسا في وزارة المعارف، وكان مبعثها الشعر والادب.

وذات مرة وانا ازور القرغولي في مدرسته، الح علي بان نتناول الغداء معا بمطعم (شمس)، ومطعم شمس يوم‌ذاك اوسع المطاعم شهرة في طهي الطعام، وكان يقع فيما يقابل جامع الحيدرخانة بشارع الرشيد، ولما كان الوقت ظهرا ولم يكن هناك ما يستدعي الاعتذار اجبت الطلب وخرنا من المدرسة متجهين الى المطعم المذكور، وفي الطريق استوقف القرغولي شابا وردي اللون اشقر الشعر ضحوك الوجه، معتدل القامة، وكان يريد عبور الشارع، استوقفه ، وقال له الى اين؟

– تعال لأعرفك بفلان – وفلان هذا يعنيني انا –

ثم قال لي – هذا يوسف افندي مكسوني ومن زملائنا المعلمين.

ثم قال القرغولي لمسكوني –: اننا مصممان على ان نتناول الغداء بمطعم شمس على حسابك فماذا تقول؟

فما رايت وجها اكثر بشاشة من وجهه ولا ترحيبا اصدق لهجة من ترحيبه، ومضينا معا الى المطعم، وحاول هناك ان يدفع الحساب ولكن القرغولي لم يدعه واقسم له اننا كنا مازحين، ثم افترقنا بعد ذلك.

ولست اذكر كم مرة على تلك المعرفة يوم التقيت يوسف افندي مسكوني – مرة ثانية ببغداد – وكانت صفة (الافندي) يوم ذاك تقوم مقام الاستاذ في هذا اليوم بمن يلتقي عرفهم ام لم يعرفهم، لقد ادركت انه لم يعرفني، وانه نسي اللقاء الاول فقلت له انا فلان وقد سبق لي ان تشرفت بينه وبين صديقه فاقسم مسكوني ان كان يذكر ذلك وان كل ما جرى في خاطره هو انه ذهب ليخطب لنفسه وقد رأى السيدة، فاعجبه منها كل ما يعجب الخاطبين من التوفيق فالكبار كلهم جامعيون وهم اما حائزون على شهادة الدكتوراه او في طريقهم اليها، وقلما شوهد سبعة اخوة يتحلون بمثل ما يتحلى به اولاد مسكوني من الاخلاق العالية.

وفتحت السيدة (كلمبا) بيتها للزائرين، واصبح لمسكوني صالون يضم عددا غير قليل من اهل العلم، والادب ببغداد، وكثيرا ما تمتعت في اوقات الفراغ بمجلس يوسف مسكوني الذي كان يجري فيه الشيء الكثير من البحوث الادبية والاجتماعية وتدور فيه النكت عن ذهول مسكوني وشرود ذهنه، بعضها كان واقعيا، والاخر منحولا يروى بقصد التفكهة، وكان الراوية الاكبر رشيدالدبوني، ورشيد الدبوني فضلا عما تربطه بمسكوني من الروابط الادبية والصداقة، فقد عملا معا في وزارة المعارف (التربية اليوم) وفي غرفة واحدة، فاذا ضم المجلس رشيدا فلا تسل عن مدى ما تبلغ النكات والنوادر عن مسكوني، وما لبث لطفي مسكوني – الدكتور لطفي اليوم – ان زاحم الدبوني بجمعه النكات والنوادر عن ابيه حتى اذا سافر لدراسة الدكتوراه الى لندن نابت عنه اخته السيدة امل مسكوني، وبدأت تجمع عن ابيها الشوارد. وهكذا كانت السيدة كلمبا و اولادها والسيد مسكوني قد جعلوا بيتهم جنة لزائريهم. وديوانا قلما يحاكيه ديوان لما كانت تتخلله من مناقشات ادبية، وبحوث تنتهي في الغالب بعشاء لذيذ على مائدة مسكوني، بل الصحيح على مائدة السيدة كلمبا، وكان الذي يساعد مسكوني على البحث والمناقشة هو وجود المكتبة الواسعة التي يمتلكها يوسف مسكوني، والتي كان قد انفق كل عمره في جمعها ولاسيما المخطوطات النفيسة منها والتي كان يعول عليها مسكوني فيما يحقق ، ويعلق على ما طبع له من الأثار امثال:

١– سبط بن الجوزي.

٢– من عبقريات نساء القرن التاسع عشر عند العرب.

٣– شخصيات عربية باسم (شخصيات القرن).

٤– نصارى كسكر وواسط قبل الاسلام.

٥– الالحان والتراتيل الارامية والعربية في كنائس البلاد العربية.

ونشر بالمشاركة مع الدكتور مصطفى جواد رسائل في اللغة كتمام فصيح الكلام لابن فارس، والحدود في النحو، ومنازل الحروف.

وفي غير اللغة نشر رسالة في حوادث الجو للفيلسوف الكندي، وعلق على مخطوطة (كتاب الفاضل في صفة الادب الكامل) للوشاء، ومدن العراق القديمة.

وكانت مكتبته تحتوي على ما يقارب عشرة آلاف نسخة بين مخطوطة ومطبوعة، وقد اشتريت المخطوطات منها في حياته بألفي دينار بحث من زوجته وسداً للحاجة التي الزمتهم مثل ذلك، والا فليس شيء اعز عند مسكوني من الكتاب، وبيعت المطبوعات على وزارة الثقافة والاعلام بعد مماته بخمسة الاف دينار.

والغريب في أمر مسكوني انك لا ترى فيما خلّف من البحوث سواء التي اشترت فيها مع الدكتور مصطفى جواد والتي انفرد بها اي انك لهذا الذهول الذي كان يتنذر به الاصدقاء، ويرويه رشيد الدبوني، ولطفي مسكوني، وامل مسكوني، وهو امر يدعو الى الدهشة، فقد قرأت له جل ما كتب ان لم يكن كل ما كتب، بل اني كثيرا ما طلبت اليه استخراج حساب التواريخ الهجرية بالميلادية وبالعكس لعدم وجود جدول عندي بهذه السنين ولإراحة نفسي من تطبيق القاعدة، فكان ينقله الي سالما وبدون أي اشتباه او سهو.

ومن ذهوله انه حين انتقل من بيته القديم الى بيت الايجار الجديد ظل مدة طويلة، وبين فترة واخرى يقصد داره القديمة ناسيا انه قد انتقل من هذه الدار، وقد

> ما رايت وجها اكثر بشاشة من وجهه ولا ترحيبا اصدق لهجة من ترحيبه، ومضينا معا الى المطعم، وحاول هناك ان يدفع الحساب ولكن القرغولي لم يدعه واقسم له اننا كنا مازحين، ثم افترقنا بعد ذلك.

نزلها سكان آخرون، فيطرق الباب، فاذا فتح له الباب، وعرف انه كان ساكنا اعتذر لساكني الدار وقال انه مر بهم ليتفقدهم ويسأل عنهم، ولما كان مسكوني لا يعرف الكذب ولم يتعوده لسانه يعود فيختم عذره قائلا:

ولكن الحق انه كان لم يزل يظن ان هذا البيت بيته، وان رجليه لم تعتد المشي الى بيته الجديد، ويتكرر هذا منه في كثير من المرّات حتى عرف سكان البيت منه هذا الذهول، فاذا ما فتحوا له الباب ضحكوا، وقالوا له تفضل، وتناول عندنا فنجان قهوة قبل ذهابك الى بيتك.

ويا ليته كان يعود الى بيته رأسا في تلك الايام التي انتقل فيها الى بيته الجديد وانما كان يلج احد بيوت الجيران، حتى اذا وجد ان الاهل غير اهله، وان البيت ليس ببيته سأل الجيران:

– ولكن اين بيتي يا ترى؟

فيدلّونه عليه!!

واشفق عليه انا بعض الاحيان، او اني اشك في صدق الحكاية التي تروى امامي عنه، والتي يسردها رشيد الدبوني، او لطفي مسكوني، او امل مسكوني، وانسبها انا الى التهويش، والتهريج، من هؤلاء بقصد المزاح، والملاطفة، وانكرها عليهم فبرد علي هو – رحمه الله – بان هذه الحكاية حقيقة واقعة!!

وكان مرة يزورني في مكتبي بدار التعارف وقد بعث باهل بيته الى البيتي ليظلوا بانتظاره حين ينتهي عملي، ونعود معا الى البيت، وشاء ان يتصل بالسيدة ام زهير بالتلفون في بيتي ليخبرها بانه سيجيء معي بعد نصف ساع، ثم طلب منها ان تسأل عن احوالي وتبلغني تحياته، فضحت وقلت له:

– ألست انا الى جانبك فكيف توصي السيدة ام زهير بان تبلغني تحياتك؟

قال – اعطفها على الكثير مما تعرف، وضحك...

×××

وذات ليلة جاء حديث السيدة ام زهير، وفضلها على البيت، وتربية الاولاد، ورعايتها لزوجها، والمحافظة على صحته، وفتح بيته للزوار من اهل الفضل، والادب، والجو للفيلسوف الكندي، وعلق على مخطوطة (كتاب الفاضل في صفة الادب الكامل) للوشاء، ومدن العراق القديمة.

وكانت مكتبته تحتوي على ما يقارب عشرة آلاف نسخة بين مخطوطة ومطبوعة، وقد اشتريت المخطوطات منها في حياته بألفي دينار بحث من زوجته وسداً للحاجة التي الزمتهم مثل ذلك، والا فليس شيء اعز عند مسكوني من الكتاب، وبيعت المطبوعات على وزارة الثقافة والاعلام بعد مماته بخمسة الاف دينار.

والغريب في أمر مسكوني انك لا ترى فيما خلّف من البحوث سواء التي اشترت فيها مع الدكتور مصطفى جواد والتي انفرد بها اي انك لهذا الذهول الذي كان يتنذر به الاصدقاء، ويرويه رشيد الدبوني، ولطفي مسكوني، وامل مسكوني، وهو امر يدعو الى الدهشة، فقد قرأت له جل ما كتب ان لم يكن كل ما كتب، بل اني كثيرا ما طلبت اليه استخراج حساب التواريخ الهجرية بالميلادية وبالعكس لعدم وجود جدول عندي بهذه السنين ولإراحة نفسي من تطبيق القاعدة، فكان ينقله الي سالما وبدون أي اشتباه او سهو.

ومن ذهوله انه حين انتقل من بيته القديم الى بيت الايجار الجديد ظل مدة طويلة، وبين فترة واخرى يقصد داره القديمة ناسيا انه قد انتقل من هذه الدار، وقد اضعت بيي واضعت نفسي

وما دريت اي جنس جنسي

ام زهير المرأة (الحبابة)

يا صورة للطف والنجابة

لولاك ما كان له كتاب

وليس من مكتبة تهاب

فهو مدير لك في صحته

اذ طالما باللطف قد اغرقته

غيبي رعاك الله – عنه شهرا

لا سمح الله يموت قهرا

بك استقام البيت واستنارا

يا خمرة ما ذاقها السكارى

اما بنوك الغر فالطبيب

والفلكي والفتى الاريب

لولاك من عرفهم وان هم

قد فاح مسك الطيبات منهم

ومن سواك يكرم الضيوفا

ويملأ الموائد الصنوفا

مرحبا باجمل الترحيب

ترحيبة الحبيب لحبيبه

فيمتلي البيت سرورا وفرح

وتمرح النفس وتزداد مرح

حياك ربي قد حباك لطفا

وصورة مشرقة وعطفا

وما دام جاء مورد الشعر فلأذكر هنا ارجوزة اخرى نظمها ونحن مدعوون في بيت الدكتور علي كما الاختصاصي بالامراض العصبية وذلك على سبيل الاقتراح بان نقرأ شيئا على مائدة العشاء واقترح الحاضرون بان يكون هذا شعرا في الاستاذ يوسف مسكوني والسيدة كلثمه قرينته الفاضلة، فمسكت بالقلم، وشرعت مسترسلا فيما يمر بالخاطر، ولم ادر ان سيكون لهذا الذي مر بالخاطر مرورا خاطفا شأن بين الاصدقاء، إذ ما لبث ان استنسخ وقرئ في مجالس اخرى غير مجلس الدكتور علي كمال.

اما الارجوزة التي نظمت في بيت الدكتور علي كما وقرئت على مائدته فهي:

يا سيدي (يوسف) يا صديقي

اعز انسان من المخلوق

قبلك ما عرفت حسن النية

ولا طيوب النفس والسجية

ولم اكن اعرف معنى الخير

ولم اجد وزنا لشخص غيري

فقبل قد عرفت طيب النفس

وعنك قد اخذت اسمى درس

اذ انت فينا كالملاك الطاهر

باطنك المستور مثل الظاهر

انت مثال الخلق الرزين

انت من الابريز لا من طين

×××

يا سيدي ويا اخي: مسكوني

يا ساكنا في القلب والعيون

لو كان ربي قد براني مثلك

وكان شكلي في حياتي: شكلك

وكانت السيدة الجليلة

– وهي شقيقتي – لي الحليلة

وهي التي تجلو صفاتي للورى

ليعرف الطيبة مني ويرى:

كل الذي لم يدر بعد من انا

ولم يجرب بعد ابناء الدنا:

بدير سمعان دخلت شهرا

استغفر الله – اقول دهرا

وكل ما كنت هناك افعل

اني الى رب الورى ابتهل

ادعو كما الراهب يدعو ربه

احفظ لنا يا ربنا : (كلنبه)

فهي وليس غيرها الحبيبة

مثال لطف ومثال طيبة

هي التي جاءت بنا الى هنا

من كان لولاها لطفها يعرفنا

والله لولاها لكنت في حذر

من مدخلي بيت طبيب مشتهر

طبيب عقل، لا طبيب بدن

الخالد الفن طوال الزمن

كم عالج العقول والاعصابا

ومن به مس شقي وطابا

ذاك (عليّ) وصفه (الكمال)

حقا وجدناه، كما قد قالوا

كنت اخاف ان اؤم داره

بل كنت اخشى ان اكون جاره

خشية ا توهمه الظنون

بانني مثل الالي: مجنون

×××

لولاك يا سيدتي (كلنبه)

ما كنت احظى برضا الاحبة

ولم اكن بينهم معروفا

ولم يكن يوسف مسكوني في الدنيا وحدها معروفا بين اخوانه بالسهو والنسيان وانما كان هناك فطاحل من رجال العلم والادب روى التاريخ القديم والحديث عن سهوهم وذهولهم روايات لا تكاد تصدق وقد قرأت مرة ان احد اساتذة الجامعة الرياضيين بباريس حينما كان يمشي في الطريق خطرت له معادلة رياضية اراد ان يجربها حالا، وقبل ان تشرد من ذهنه، وكانت هنالك عربة واقفة بالقرب منه قمد يده الى جيبه وكانت فيه قطعة من الطباشير فاخرجها وبدأ يضع حروف المعادلة وارقامها على الصفحة الخلفية من العربة كما لو كانت سبورة، او لوحة معدة للكتابة، وشرح يحل الرموز المفروضة، واذ ذاك صعد شخص الى العربة وساق الحوذي عربته، ماما الاستاذ فلم يكن منه الا ان استمر يركض خلف العربة لكي يواصل ترتيب المعادلة ويستخرج النتيجة، ولم يعرف كم ركض خلف العربة حتى وعى، ووقف ضاحكا، من نفسه!!

وليوسف مسكوني نفسه ابيات في زوجته كلنبه على اثر كملية جراحية اجريت لها يقول فيها:

يا زهرة القلب والايام عابسة

بحلو مبسمك الايام تبتسم

حملت من مضض الاسقام اعنفها

ونور وجهد بالالطاف يتسم

يكفيك (ام زهير) طول مصطبر

على النوى ليت هذا الجرح يلتئم

×××

ولقد قرأت عن سهو توفيق الحكيم الذي يقال انه كثيرا ما يسهو، لقد قرأت عنه زعما بانه فوجئ وهو يقرأ في كتاب من قبل صديق طالما كان يتندر باخبار ذهوله، وذلك قبل ان يتزوج توفيق الحكيم بسنين طويلة، لقد فاجأه الصديق باستغراب قائلا:

– انت هنا وتترك زوجتك خارجة من البيت تعمل ما تشاء؟

فلم يك من الحكيم – على ما تزعم الرواية – الا ان رمى بالكتاب جانبا واسرع الى البيت يسأل الخادم عن زوجته متى خرجت واين سارت وماذا قالت له؟!

فقال الخادم – : اية زوجة تعني يا سيدي ؟ وانت لم تتزوج حتى الان؟

وهناك وعى توفيق الحكيم وذكر بانه لم تكن اكثر من هذه الرواية التي نقلتها الصحف هي من تلفيقات اهل الفكاهة.

ومن سهو يوسف مسكوني انه حينما جرى عقد ابنته امل، جاءه العريس ببعض بطاقات الدعوة ليوجهها الى الاصدقاء الذين يخصون بيت العروس، فجلس يوسف مسكوني يكتب اسماء المدعوين، ويرمي بالبطاقات في صندوق البريد، وفي اليوم التالي جاءت مسكوني بطاقة دعوة باسمه وموقعة بتوقيعه، وظهر انه كان قد وجه لنفسه بطاقة دعوة مثلما فعل مع المدعوين، والقى بها في البريد وجاءته الدعوة موجهة منه اليه!!

×××

كان مسكوني من اكثر الملازمين لمجلس الاب انستاس الكرملي، واكثر من يحضر ما يجري من المناقشات الادبية واللغوية في ذلك المجلس الذي شده الى طائفة من اهل البحث والعلم امثال الدكتور مصطفى جواد، والشيخ كاظم الدجيلي وكوركيس عواد.

والى جانب البحوث التي كتبها يوسف مسكوني، والى الثروة العلمية الكبرى التي تمثلت في مكتبته، والى جانب ما قدم من خدمة في اثناء وظيفته كمدرس مخلص، وكمترجم في وزارة المعارف، وكمدير فاضل، فقد كان يتمتع بشيء اسمى من هذا واغلا، واثمن ما في الوجود من الذخائر، لقد كان يتمتع بصفات اقرب الى صفات القديسين من حيث صفاء النفس، وطهارة الضمير، ومحبة الناس، وكرم الخلق، ويوم ابنته في التلفزيون في ندوة شارك فيها الشاعر حافظ جميل، والذي كان قد رثاه بقصيدة عصماء، والاستاذ مير بصري، ضبط لي المسجل الكلمة المرتجلة التي انقلها هنا من شريط التلفزيون.

"انا من الذين يعتقدون ان الانسان اذا توفاه الله، ووقد على ربه انقطعت علاقته بالدنيا، فلا يسره مدح المادحين، ولا يضيره قدح القادحين، فانا اذا ما نعيت الصديق القديم الكريم والاستاذ الجليل يوسف يعقوب مسكوني، فانما انعى الفضيلة والاخلاق الكريمة، وطهارة النفس، ومن المؤسف ان الاستاذ حافظ جميل قد سد علي الطريق بقصيدته التي اتى بها على وصف الصديق فلم يترك لي شيئا لاقوله بعد هذا.

ان علاقتي بالفقيد ترجع الى اربعين سنة من قبل، وكان واسطة التعارف بيننا اديب له من المزايا، والاخلاق والصفات النادرة، كمثل ما لمسكوني الفقيد الى جانب الشعر والادب الذي كان يتجلى به، ذلك هو المرحوم عبد الستار القرغولي الذي كان قد شدني اليه التعليق بهذه المزايا كما شدني الى يوسف مسكوني فيما بعد، وهي مزايا قل اليوم من يتمثل بها او تتمثل به في دنيانا هذه التي طغت المادة فيها على كل شيء حتى تكالب الناس على البذخ والسترف والاسراف وحتى قل هؤلاء الذين كانوا كهذا الفقيد الكبير من حيث الانسانية.

والفقيد الغالي لم يكن مسيحيا فحسب وان كان قد مثل المسيحية من حيث المحبة والصفاء، وانما كان مسلما ما دام من شروط المسلم ان يسلم الناس من يده ولسانه وقد والله لم يسلم الناس من يد فقيدنا ولسانه فحسب وانما سلموا حتى من التفكير في الشر، فلم يعاد مسكوني الناس، حتى في قلبه ، ولم يضمر لاحد حقد ، وليس من شك انه كان قديسا ومن افضل الناس.

وكثير من الناس من يزاول الادب فيجيده، وكثير من يفهم العلم فيحسنه ويتقنه، اما الذين يفهمون الانسانية، ويفهمون مبادئها، فانهم قليلون جدا وقد كان مسكوني من هذا القليل.

مات مسكوني، وبالرغم مني حضرت تشييعه فانا من هذه الناحية قليل الصبر، وهنالك في كنيسة السريان بكيته على قدر معرفتي لمحبتهن، وطيبه ولطفه الذي خسرته الانسانية فقل عدد امثاله بيننا.

ولد سنة ١٩٣٠ م وتوفي في ١٩٧١/٤/١١ تغمده لله برحماته الواسعة وعوض الانسانية بهذه الخسارة الفادحة.

عن كتاب هكذا عرفتهم الجزء2

مسكوني الاديب والوطني

الاب جبرائيل نصر المخلص
النائب البطريركي لطائفة الروم الكاثوليك

اصارحكم باني ارعى في حصيدكم والقط من سنابلكم ما امكن فاجمعها باقة تقدير ووفاء اضعها على ضريح الفقيد المسجي جثمانه الطاهر فيه تحت جدران هذه الكنيسة التي ساعد وساهم في بنائها وقد نظم لها تاريخا ليتقش على مدخلها يختمه بهذا البيت وفيه التاريخ:

انعم به معبدا يهدي لسيدة
الاخرى فقل ارخو شفت مغانيها

مستبيحا لروحه الطاهرة الرحمة والرضوان، وما اجملها وما اوفاها حفلة تقام في هذا البناء وبين هذه الجدران.

اتيت العراق منذ ستة عشر شهر او كنت اتغنى دوما بدار السلام وعصرها الذهبي لكني احسست بوحدة وعزلة ويأس وانا من عشاق الادب والشعر والندوات الادبية، حتى اتاني احد الاصحاب وقال لي هلم معي اعرفك علي شخص يعجبك فقكرت بديهيا بعائلة غنية أو رجل موظف كبير الى ان وصلنا الى بيت ظاهرة يوحي بالبساطة. دخلنا البيت فاذا انا في روضة من رياض الجنان فيها من كل فاكهة زوجان: رأيت الاديب والشاعر واللغوي والمؤرخ والباحث وكان حديث وكان حوار لا الذ منه ولا اطيب.. هذا بيت يوسف يعقوب مسكوني فشكرت الصديق على هذا الملتقى وقلت في نفسي:

صفحا لهذا الدهر من هفواته
ان كان هذا اليوم من حسناته

تعرفت في بيت الفقيد على الاشخاص الادباء مؤلفي الندوات التي الفوها منذ عهد العلامة الاب انستاس الكرملي وكانوا يحيونها كل يوم جمعة وصرت احاول حضور هذه الاجتماعات والندوات هذه بعد معرفتي بالفقيد اما قبل مجيئي بغداد فكنت اعرفه من مقالاته وابحاثه ومواضيعه القيمة التي كان يديج بها الصحف والمجلات وبالاخص مجلتنا الرسالة المخلصية التي اغناها فترة من الزمن واتحفها بشتى المواضيع. وآخر لقائي به وبالسيدة الادبية قرينته كان في بيت الصديق الذي عرفني به واخذني الى بيته قبيل ذهابه الى مهرجان الشعر في المربد بثلاثة ايام فكان آخر عهد والوداع.. وفي نفس بيت الصديق المذكور وانا اقوم بواجب المعايدة صبيحة العيد الكبير فوجئت بخبر وفاته وكانت لي كما كانت لكم ولكل من عرفه صفعة قوية.

بعد هذه المقدمة اقول:

احرار النفوس، اذ جمع في شخصه الكريم خلالا نادرة تقول لمداح الفضل والعلم والادب (لاعطر بعد عروس) فقد قضى صباه وشبابه وعهد الرجولة في الدرس والبحث والتنقيب ثم دخل ملاك التربية والتعليم والتدريس وربى جيلا بل اجيالا من تلامذة تخرجوا على يده ونعموا بخبرته وفضله هم عمدة الوطن ومستقبل البلاد وانشأ له مجتمعا ادبيا ثقافيا يؤمه الادباء والشعراء واللغويون والباحثون.

ليس الزعيم والبطل من يحمل السلاح ويربح معركة، وليس الوطني من يتغنى بحب الوطن ولا يعمل للوطن، انما الزعيم والوطني من يكسب قلوب الناس بصفاته واعماله، من يربى النشء ويوجهه ويطبع فيه الشمم والشرف وحب الوطن من خلال سطور الكتب وقت التدريس وفي النصح والارشاد فيشب الفتى والفتاة عاشقين الوطن متعلقين بتربته فخورين بامجاده، فكان الفقيد المسكوني الزعيم الحر والوطني العامل الجريء وهاهم تلامذته ورفاقه ومعشره شهود ثقات يؤلفون في هذا الحفل هالة اكرام وتقدير واعتزاز ووفاء لمربيهم واستاذهم وزميلهم وعشيرهم.

ايها الحفل الكريم...

ان المسكوني ولو لم يتدخل في السياسة فقد كانت له جولات قوية تنطق بوطنيته وعروبته وعصاميته وتلقى تلك البرقية الخالدة التي وجهها الى قداسة الحبر الاعظم بولص السادس بعد نكبة حزيران برهانا مقنعا على ما اقول. وهذا نص البرقية:

قداسة البابا بولص السادس
الفاتيكان

باسم المثل والقيم الانسانية والوجدانية، وباسم السلام الجريح على ارض الفداء والسلام، وباسم المسيحية التي كانت وما زالت تعاني وتعمل من اجل السلام، وباسم الصليب المقدس والصخرة المقدسة التي باركها الله في القدس الشريف، وانطلاقا من الاخوة الاسلامية – المسيحية التي تعانقت على وادي الرافدين الخالدين هدفا وروحا وفكرا ونضالا مشتركا بمواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري وتجسيد ارادة الشعب العربي في تحقيق حريته وكرامته وسيادته على ارضه نناشدكم تسجيل موقف جديد رائع الى جانب مواقفكم السابقة الرائعة. واستخدام نفوذكم الكبير وسلطتكم الروحية والزمنية لتطهير الوطن السليب من اعداء الحرية والانسانية والسلام – وان التاريخ، وكل المخلصين المؤمنين بانتصار الحق والعدل يتطلعون الى قداسكم وعونكم لبلوغ ما يصبون اليه من اهداف: وكفى التاريخ شاهدا وسجلا خالدا ضخما لهؤلاء الذين يساهمون في معركة الحق ضد الباطل والخير ضد الشر، وانا لمنتظرون.

بغداد في ٢٥ حزيران سنة ١٩٦٧.

يوسف يعقوب مسكوني

ان في هذه البرقية تتجلى الوطنية، انها الوقفة الصريحة لقضية العرب وفلسطين، واستصراخ للعدالة، وشجب لاعمال الصهاينة ووقوف حر الى جنب العراق ومجلس قيادة الثورة في موقفهم المشرف تجاه قضية فلسطين. هذا يوسف مسكوني الوطني اما يوسف مسكوني الاديب اللغوي الكتاب البحاثة المدقق فماذا اقول فيه بعدما قال وجال.. والكل يعلم ان الفقيد ادى للغة العربية خدمات لا تحصى من درس وتهذيب وتحليل وتمحيص فكان الحجة اللغوية تغنو لها الافهام ، وتكبو دون غايتها جياد الاقلام فاصبح امامها المعروف وابن بجدتها الموصوف يحتكم اليه الكتاب والشعراء والادباء فيسدد ما طاش من الاراء ويجمع الاغلبون على حكمه السديد، مقتنعين به بل مأخوذين بايات قوله الرشيد، وكان يعمل للخير يصنعه الى كل انسان ويبسط في الفضل والمعروف لعائلات مستورة يدا كريمة خلقت للجود والاحسان.

ان كانت الحياة بالجد والعمل فالفقيد قد جد وعمل فوق ما يعمل حتى اذاب نفسه، انشأ وهذب وربى والف وكتب – ان كانت الحياة في الاثر الحميد والصيت الحسن فالفقيد قد ترك ذكرا عاطرا وصيتا طيبا وآثارا مجيدة ان كانت الحياة في النبل الصالح فالفقيد قد انجب للوطن خلفا صالحا ابناء اذكياء نجباء منهم الاطباء والعلماء والشعراء وكلهم سائرون على نهج ابيهم.

هذا يوسف يعقوب مسكوني الانساني الاديب والكاتب واللغوي، هذا ابو زهير العذب الاحدوثة اللطيف المعشر وهذا النور الذي خبا والنجم الذي افل فلا عجب ان يشق الاحباء عليه الجيوب بل القلوب، فان خطبه قد جل حتى هون الارزاء والخطوب.

والخلاصة ايها السادة ان يوسف يعقوب مسكوني قد حمل لواء النبل والعلم والادب في هذا البلد والبلدان العربية طوال نصف قرن فكان الكاتب والمؤلف واللغوي والنقاد والبحاثة المدقق وكان من ذلك الرعيل الطيب الذي مر ببغداد حينا من الدهر وواكب المثلث الرحمات العلامة الاب انستاس ماري الكرملي في ندواته ومن كان ينتمي الى مدرسته ثم انتقل الى عالم الخلد تاركا وراءه اكداسا من المكارم والامجاد، فهو من اولئك الرجال القلائل الذين يمكن ان يقال عن كل فرد منهم : (انه كان وجها نبيلا من وجوه العراق). يوسف مسكوني اذ ينتقل الى دار البقاء مثقلا بامجاد الضمير، محاطا بكل محبة وتقدير، تفتقده المجالس والندوات والمكاتب والمجتمعات مثلما تفتقده زوجة أديبة وفية وانجال بررة كرام واهل واصحاب ورفاق وقوم جمعت بينهم الفاجعة الاليمة وجرحهم المصاب.

في ذمة الله يا ابا زهير يا رمز المودة والوفاء والى الملاء الاعلى في موكب الزهر والرياحين.

سر بالامان مشيعا
وخذ الحل الارفعا
في جنة الفردوس حيث
حلا نعيمك مرتعا
فارتع على نهر الحياة
وبل قلبك وانقعا
واغنم لذائذ جنة
فيها الهناء تنوعا
فهناك كل سعادة
وهنا الشقاء تجمعا
ما لذة الدنيا سوى
طيف اطل واقشعا
والعمر الا زهرة
والزهر يذبل مسرعا

×××

يا يوسف الحسن الذي
نبذ الغرور ترفعا
يا من رمى الدنيا فلم
يك بالخدائع مولعا
يا من بكل حياته
لحياته الاخرى سعى
ومشى على اثر المسيح
حبيبه متتبعا
قد كنت فيما بيننا
مثل الملاك واروعا
وتلوح في الخلق الرضى
حمامة بل اودعا
وتركت مكتبة غدت
للاوفياء المجمعا
اخوانك الغر الاولى
شقوا عليك الاضلعا
وخدمت اوطانا زهت
بمآثر ما اروعا
ورفعت شان العرب
والاوطان والفصحى معا
افنيت في ابحاثها
حبات قلبك اجمعا
لو صح في امثالك
الذنب الاليم تفجعا
لبكى الجميع كما بكينا
واستقلوا الادمعا
نبكي الوفاء نبكي الحجى
طي الثرى قد اودعا

×××

وروائع الاداب واللط
ـف الجميل الابدعا
لكن مثلك لم يمت
فارى بكاك ممنعا
اذ انت في مرج النعيم
وجدت اطيب مرتعى
فابشر بما احرزت من
نعم السماء تبرعا
واهنا فقد فسح المسيح
لك الهناء اوسعا
ولنا العزاء بان نكون
بنا هناك مشفعا
مستشفا بالاهل بالزمـ
ـلاء راجين الدعا
فلانت اخلص مخلص
ذكر المودة او رعى

عن الكتاب التذكاري الذي صدر في اربعينية مسكوني

ليس الزعيم والبطل من يحمل السلاح ويربح معركة، وليس الوطني من يتغنى بحب الوطن ولا يعمل للوطن، انما الزعيم والوطني من يكسب قلوب الناس بصفاته واعماله، من يربى النشء ويوجهه ويطبع فيه الشمم والشرف والوطن من خلال سطور الكتب وقت التدريس وفي النصح والارشاد فيشب الفتى والفتاة عاشقين الوطن متعلقين بتربته فخورين بامجاده

الزعيم عبد الكريم قاسم يصافح نجل الاستاذ مسكوني

الراحل الذي لا ينسى

عبد الحميد البكر
مربي وزميل مسكوني

اينسى يوسف يعقوب مسكوني وهو حي يخطر على ثرى هذه الارض بقابلياته الفذة في البحث ، وقدراته الجمة في التنقيب، وصبره الذي لم ينفذ من اجل اكتساب العلم وتحصيله والتتبع في مجال الحياة الادبية والفكرية.. فلقد كانت حياته زاخرة بالنشاط العلمي والادبي. وهي تحمل الى الناس نتاجا طيبا رائعا.. لقد كانت الحياة التي عاشها بعد ولادته (١٩٠٣) في مدينة الموصل لا تخلو من المصاعب والتعب والهموم، ولعلها لها تأثيرا في نفسه منذ حداثته وجعلته في عداد كبار العلماء والباحثين، فلا شيء كالالم يصهر النفوس ويخلق العظماء.

ورغم ان اهله قد كفلوه على خير وجه فان احساسه باليتم قد طبع نفسه بطابع من الحزن والحسرة التي لا تعرف الانقطاع، غير انه لم يرضخ لتلك الالام فاندفع في دروب الحياة ومسالكها لتحقيق ما كان يصبو اليه من الامال وما يتطلع اليه من الاماني. ومع ان دراسته الاولى كانت قد توقفت فانتقل الى الحياة العملية فترة فانه لم يلبث ان عاودها ووواصل مسيرته فيها حتى اكتمل له ما اراد وحصل على مبتغاه في التخرج من دار المعلمين الابتدائية يوم كان هذا ليس قليلا ولكنه بحسه المرهف وبصيرته النفاذة ادرك انه على اول درجات سلم العلم، واذا كان قد قنع بتعيينه معلما في شهربان فمدرسة الاعظمية، فمدرسة الطاهرة بعدها، فانه لم يقنع بما حصل عليه من اسباب المعرفة، وانما جعل يتحرك الى مصاحبة العلماء والادباء ورجال الفكر ومجالستهم. فتعرف على طرائق تحصيل العلوم واستهوته الكتب بعوالمها الفسيحة ورسيما المخطوطات منها فاخذ يبحث فيها وعنها ويحققها ويدرسها ويضم الى مكتبته المزيد من الكتب حتى اتسعت وتضخمت مما حدا بالاستاذ يوسف اسعد داخر ان يخصها بالذكر المليئ بالاعجاب والتقدير، وذلك في كتابه الذي وضعه باللغة الفرنسية لمنظمة – اليونسكو – بعنوان – (مكتبات الشرق الادنى).

وقد كان لهذا الاندفاع الذي اتسمت به حياة الفقيد اثره الكبير في اتقانه اللغة الانكليزية والسريانية، وكان حظ قسم الترجمة بوزارة المعارف كبيرا يوم تولى العمل فيه الاستاذ الراحل، وقد ظل طوال مدة عمله فيه يعلم ويتعلم ولكنه لم يكن يعلم هذه المرة داخل الصفوف وانما اتخذ التاليف والاذاعة والنشر في الصحف وسائل للتعليم كما اتخذ من السفر والتعرف على المكتبات في الخارج وما فيها من كتب ونوادر المخطوطات مجالا للتعلم.

وهكذا ظل طوال حياته عالما وباحثا واديبا حتى انتخب عضوا في رابطة الادب الحديث بالقاهرة واتصلت المراسلات بينه وبين الرابطة دون انقطاع...

ذلكم – ياسادتي – قليل جدا من الكثير الكثير الذي لم يذكر والذي له غير هذه السويعات الباكية الحزينة التي يعاد بعدها الى الاستزادة من ذلك الكثير الذي ضمه المؤلف والكتاب وهو الاطار الخالد والمقيم والاثر الذي يبقى من يرحل عن هذه الدنيا في حال دائم وفي ذكر عطير وجليل.

وبعد، فان ذكرى الفقيد الراحل تعاودني كل ما لمحت مكان عمله في وزارة التربية والتعليم وقد خلا منه ، وتزداد لوعة الذكرى وتشتد كل ما تطلعت في صديقين وفيين وله واخوين كريمين كانا دوما معه فاجدني مغمورا بالحزن مرددا مع من فقد اغلى اعزائه يوم قال...

ارى اخويك الباكيين كليهما.. يكونان بالاحزان اورى من الزند

فلقد ابصرت بهما حينما جاءا ليقولا نحن هنا ونحن هنا.. اقوياء اصحاء.. ولكننا جئنا باكين حزينين لان صديقنا الاستاذ يوسف يعقوب مسكون قد مات.

عن الكتاب التذكاري الذي صدر في اربعينية مسكوني

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2290)
السنة الثامنة
الخميس (27)
تشرين الاول 2011

الطيبة التي لا تعرف الحقد

خالص عزمي
اديب وكاتب عراقي راحل

مسكوني مع السيدة قرينته المتوفاة عام ٢٠١١

الصمت.. العيون زئبق يتنقل ما بين المسجى على راحتي العملاق الشامخ على ضفاف الدجلة وبين هيدب الدمع بالمنصب على الوجوه الواجمة.. الحيرى.. المتأمة.. كأن تلك السلسلة من الدمع خيوط الارض المشدودة الى شرفات السماء تستغيث بصوت خافت، يزحف باعياء من الاعماق ليصل الى امل الرحمة.. والرجل.. العقل الذي كشف في طياته الاف الاسفار سكون، لا نطق ولا حراك ثم يخفق جناح جفنه وكأنه يتنصل من سفرة الموت وتلتقي عيون الاحبة المحيطة به سوار اشفاق انسحب اطراف ابتسامة عفوية مترددة.. حيث يلوح بعض من امل.. ثم لحظات ويرجع الصمت ادراجه (كوحشة المصدور في ليل السعال).

قبل ايام اربعة فقط من انقطاع الصلة ما بين الجسد والروح كان معنا على الباخرة التي راحت تنساب على شط العرب يرتقي السلم الاعلى حيث يحدث ربانها يستفسر منه عن منعرج الشط والنخل يحنو عليه هنا وهناك.. فاراه..

والشمول القادمة من البحر مرحبة تداعب شعره المهثث بنثاره الناصع.. والابتسامة التي عاشت على شفتيه مذ اللحظة الاولى والتي سال فيها ماء المعمودية على هامته ومسح فيها على جبينه بزيت الميرون المقدس، مازالت الابتسامة المرحة والصادقة وكانها شراع الحياة الى ساحل الاطمئنان. لقد كانت نظراته الاخيرة على جنوب الوطن الذي احب نظرات تأمل وحنو ولعلها كانت نظرات وداع! ثم اراه يهبط من على دفة الباخرة ليلتقي بالادباء والشعراء الذين جاؤا مهرجان المربد، يحدث هذا بالسهل الممتنع ويعلق على رأي ذاك بدعابة او طرفه، ويصحح بتواضع مهذب ما اختلط على هذا او ذاك وهو اروع ما يكون من ايمان بالنفس والثقة بما يكتنز في ذهنه من تراث ثم يعود الى بغداد فرحا فقد التقى مع رجال الفكر والعرفان واستمتع بالمدينة الوحيدة التي لم يرها من قبل من ارض بلاده..

الى هنا تعود العيون المقرحة الى صديقها المسجى على ضفاف دجلة تتأمل فيه وكأنه يريد ان يغرق عينيه في محبرة الحرف التي دلقها المغول على شط العرب يرتقي السلم الاعلى ليستعيد منها ما ضاع في مجاهلها، وتتأمل فيه وكأنه يردد قول يسوع.. (ان نفسي حزينة حتى الموت امكثوا هاهنا واسهروا معي)..

الساعة تقترب من الرابعة فجرا والاجراس والتراتيل الكنسية في لحظات عبد الفصح المجيد وبالصمت يرجع ادراجه مرة اخرى.. والطب يبذل قصاراه، ثم يتوقف كل شيء، انها اذن النهاية الجسدية والبداية الروحية الابدية ويدق ناقوس الوداع الاخير، ويفلت الضوء من صدر المسجى رافعا قنديله الشفاف الجديد الى حيثما تستقر نفس الوداعة الانسانية المتمثلة بابنها البار يوسف يعقوب مسكوني..

الطيبة التي لم تعرف الحقد ولم تلتق معه والانسان الحليم ذو النفس العروف والرجل الذي أمن عن صدق بالاتي الذي ياتي ولا ولايبطيء والورع الذي يطلب الغفران والتوبة والوفاء زينة له لاخلاصا من معصية، فالتقى هو اقل بني الارض حاجة للتوبة وهو لم يدخل التجربة وانه منجى من الشرير.

لقد حول يوسف يعقوب مسكوني وفي كل ادوار حياته الطيبة الشكل الى الحب والرأفة الواقع والوفاء الظاهري الى الصدق فيه الوادعة الكذوب في النفوس المريضة الى التواضع المنسجم مع العلم في نفسه ، لقد حارب كل حياته الكبرياء والفحشاء والحقد والشراهة والغضب والكسل. لهذا وذاك دب على ارض المعرفة منقبا ومحققا ودارسا ومتأملا فكان زيت عينيه حرقا مضيئا لا ينطفيء وحرفا يتبرعم فيورق ويزهو لا ليصبح يبسا فينكسر، كانت الحياة عنده كفاحا متواصل الحلقات للسماء الجزء الاكبر وللارض بقاياه الصغرى.

تربية الجيل عنده بدأت من الساحة الانسانية الى رحاب مسكنه فاولاده هم كل من علم وهذب ودرب ونستكتب وهم اولئك الذين انتشروا في ارض السواد يذكرون باليمن استاذهم الوديع الصريح مع التهذيب الرقيق مع الخلق الرضي، يتذكرونه كما يذكرون غمامة بيضاء يقفه مكللة، عاشت انسام المحبة ولم يصرعها الاعصار فانظرت من مسالك النفس الخيرة خيرا ويذكرون ايضا ان تشابه الحقد لم يسكن بمقدورها ان تمس شيئا من شغاف قلبه ففؤاده متسلح بالعطاء المحب لا بالتقائية التي تستجيب وحسب وبالاصالة التي تهوى لا بالطارئ الذي يفتعل المحبة.. هي من صميم ذاته ومن الجوهر النقي فيه.

لقد كان الوفاء لديه يزدهي بالامثلة الحية التي لم تعرف استهانة بذكرى خالد مخلد ولم تعرف الابتعاد عن اداء واجب تحتمه حقيقته.. والان وان اضفر الاكاليل الاخيرة له في هذه اللحظة السخية بالمحبة اسمع من وراء الحجب صوت الاستاذ الصديق يوسف مسكوني المؤمن الذي لم يخسر صداقة الله.. يهمس مرددا يسوعية قديمة جديدة.

طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض
طوبى للرحماء فانهم يرحمون.

ج. الاتحاد
15 شباط 1987

وسهم الرزايا بالذخائر مولع

د. ابراهيم السامرائي
محقق ولغوي راحل

اننا اليوم نؤمن بعظمة هذا العصر وبالحياة الحاضرة وبقدرة الانسان المعاصر على خلق هذه الحياة وكشف بواطنها مشيرا لابناء هذا العصر وللاجيال اللاحقة ان العقل البشري صانع الاعاجيب وان قدرا مما ندعوه معجزات ليكون من فكر هذا الانسان وعطائه. الا ان شيئا مازال ينال من هذا الجبروت وهذه الكبرياء وهذه القدرة هو ان صاحب هذا العقل الكبير ممتحن بالموت مهدد بالفناء فيمضي جيل وتأتي اجيال ومازال سلطان الموت قويا جبارا.

ايها الحفل الكريم

يطرقنا هذا الشيخ الجبار في كل حين وسيظل كذلك ونحسن نودع كل يوم اخا حبيبا من اخواننا وزميلا كريما من زملائنا.

× كنا بالامس القريب نسعد بالراحل الكريم وهو بيننا ملء السمع والبصر ولم يكن في علمنا اننا موشكون على توديع صاحبنا واذا هي ايام معدودات واذا الصديق الكريم يفارقنا فراقا لاتجمعنا واياه الا الذكريات والذكرى اليمة كئيبة لقد عرفت الفقيد الكريم منذ ما يقرب من خمس وعشرين سنة فكنت ارى فيه معدنا كريما وجوهرا نفيسا يوحي الى كل من عرفه انه من الصفوة الكريمة الطيبة يقبل على انى رايته اقبال الحب الصادق فكان برا باصحابه شديد التعلق بهم كثير السؤال عنهم..

وكان عف اللسان موفور الاخاء لايسعى الا في خير يقصد به وجه الحق كان فقيدنا الراحل من اسرة الادب ومن أجل ذلك كان مجلسه عامرا باخبار الادباء وشؤون الكتب ولذلك كان من اولئك الذين رعوا التراث القديم فكان يرص على اقتناء المخطوطات وتوفير المصورات طالما يستطيع احرازه منها ولذلك كانت خزانة ابي زهير عامرة، بأعلاق النفيسة والنوادر الغالية.

× اذكر اني سعيت الى معرفة الراحل الكريم اول مرة التماسا لشيء من كتب النصرانية فقد سالته عن (دليل الراغبين) وهو معجم في الارامية وقد هداني الى نسخة منه افدت منها حين كنت ادرس الارامية ولهجاتها الشرقية والغربية كما استطعت ان اهتدي الى جملة اثار الارامية اما في خزانته او في خزانة غيره مما سعى رحمه الله في تهيئتها الي.

قلت: كان الفقيد من المعنيين بالادب والتاريخ القديم فقد قام بعدة دراسات ادبية منها:

١- سبط ابن التعاويذي (بغداد ١٩٥٩).
٢- من عبقريات نساء القرن التاسع عشر عند العرب (بغداد ١٩٤٦ – ١٩٤٧).
٣- شخصيات القدر: لشخصيات العربية (بيروت ١٩٦٤).
٤- نصارى كسكر وواسط قبل الاسلام (بيروت (١٩٦٤).
٥- الالحان والتراتيل الارامية والعربية في كنائس البلاد العربية (بيروت ١٩٦٥).

اما عنايته بالتراث فهي تترجم باعمال الاتية:

نشر مع استاذنا الكبير مصطفى جواد رحمه الله.

١- رسائل في اللغة (بغداد ١٩٦٥) وهذه الرسائل تشتمل على:
أ- تمام فصيح الكلام لابن فارس.
ب- الحدود في النحو.
ج- منازل الحروف.

٢- رسالة في حوادث الجو للفيلسوف الكندي (بغداد ١٩٦٥).

٣- قدم كتاب "تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني" (بيروت ١٩٦١).

٤- مخطوطة كتاب الفاضل في صفة الادب الكامل لمحمد بن احمد بن اسحق المعروف بالوشاء (بغداد ١٩٦٥).

ولم تقتصر عناية فقيدنا بالادب القديم فقد شارك في حركة الترجمة فترجم:

١- فتح العرب للصين ومعركة طلس او الطلخ لغزو بلاد الصين تأليف الدكتور دي، ايم، دنلوب (بغداد ١٩٦٨).

٢- مدن العراق القديمة تأليف دورثي مكاي (وقد طبع في بغداد ثلاث طبعات آخرها (١٩٦١).

اقول كان فقيدنا من الادباء العاملين ولولا انه كان متعبا بسبب ما الم به من مرض لكان لنا من اعماله اشياء اخرى كان يرحمه الله – يعتزم انجازها.

ايها الحفل الكريم..

معذرة لكم وللاسرة الكريمة اني ادرت هذه الكلمة على شيء غير الرثاء وقد عودتنا مجالس التأبين ان نسمع فيها العاطفة الباكية واللوعة الحرى والالم الجريح فلسنا ندرك من هذه الا بالقدر الذي نحيل فيه هذه الالوان الباكية عظة بالغة وعبرة نافعة ازاء الموت الذي ينزل بنا فيسلبنا اعز ما نملك وقديما قال الشاعر القديم: وسهم الرزايا بالذخائر مولع. رحمك الله ابا زهير والهم آلك وصبحك الاقربين الصبر الجميل والسلام عليكم ورحمة الله.

عن الكتاب التذكاري

لو استطعت جعلت القلب مثواكا

حافظ جميل
شاعر عراقي راحل

اعرفت كيف يرثي الصديق صديقه الروح
بالروح والفكر بالفكر والاخاء بالاخاء؟
اعرفت كيف يفتقد الشاعر قطعة حية من فكره
وروحه وعصبه وحياته اليومية؟ اعرفت
كيف يفيض الشعر صافيا عاليا في القمة
ليصور اديبا كبيرا واخا كريما وجارا حميما
وكانه لوحة فنية رائعة تجسدت في صورة
انسان؟ اذا عرفت هذا فاقرأ رائعة الشاعر
الكبير الاستاذ حافظ جميل في رصاء صديقه
الفقيد الغالي يوسف يعقوب مسكوني.

في مأتم الفقيد يوسف يعقوب مسكوني

كم كنت تشفي جراحاتي بلقياكا
وكم تشهيت طعم الموت لولاكا
كنت الطبيب لنفسي لم تجد بدلا
من لطف روحك في تطبيب مرضاكا
ما انهل دمعي ولم تجهش على بكا
فما اشك اخلاصا واوفاكا
حتى لكنت الوم النفس كيف شكت
خالي اليك ودمعي كيف ابكاكا
كم ضمني صدرك المشبوب عاطفة
وفي فمي قبلة بادلتها فاكا
وكم تمنيت والاقدار ترسم لي
شكل العمى لو فدت عيني عيناكا
كنا ومحنتنا قلب وباصرة
تصغى لشكواي ما اصغى لشكواكا
واليوم اذ حلت البلوى فيسعدني
اني اسير الى حتفي واياكا
ما كان في الظن والمأساة تتبعني
ان سوف يسبقها ماساة عقباكا
عشنا حريبين الا من قناعتنا
عناية الله ترعانى وترعاكا
لم تهدر الحاجة القصوى كرامتنا
فضل من الله اغناني واغناكا
تعلق الناس بالدنيا وصحبتها
وكنت وحدك لم تأبه لدنياكا
كانما كنت في الدنيا على ثقة
بان ربك بالفردوس مثواكا
فتشت لم ار خلا كنت تصحبه
وخاف من نفسه ان سوف ينساكا
وكيف ينساك من كنت المسيح لهم
ومن وراك الحواريون ابناكا
ربيتهم لا على عجب وعجرفة
وهكذا كرم الاخلاق رباكا
الله نورهم فكرا وهذبهم
طبعا واورثهم ما كان اعطاكا
قلوبهم من مزايا قلبك انتزعت
ونور سيمائهم من نور سيماكا
لايكفرون برب كنت تعبده
ولا يوالون ضليلا وافاكا
ولا يطيعون باسم الدين من نصبوا
للمال فخاً وللذات اشراكا

الاستاذ مسكوني الأديب المحقق

سالم الالوسي

يتقن الفقيد اللغة الانكليزية والفرنسية ويلم بالسريانية وكان رحمه الله من تلامذة اللغوي العلامة الاب انستاس ماري الكرملي ومن المواطنين على حضور مجلسه في دير الابداء الكرمليين الذي كان يعقد صباح كل جمعة وكان (مجلس الجمعة) هذا مجمع لادباء والشعراء والباحثين واقطاب الكلمة العراقيين والمستشرقين.

رزئ العراق بفقد احد ابنائه البررة وعلم من اعلام الادب والتاريخ هو الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني الذي وافاه الاجل على أثر نوبة قلبية لازمته ثلاثة ايام، وبالرغم من العناية الفائقة التي بذلها الاطباء المتخصصون، فلم تفد معه المحاولات كافة، فانتقل الى جوار ربه في الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم ١٩٧١/٤/١١ وقد شق نعيه على اهله واصدقائه وعارفي فضله.

يتقن الفقيد اللغة الانكليزية والفرنسية ويلم بالسريانية وكان رحمه الله من تلامذة اللغوي العلامة الاب انستاس ماري الكرملي ومن المواطنين على حضور مجلسه في دير الابداء الكرمليين الذي كان يعقد صباح كل جمعة وكان (مجلس الجمعة) هذا مجمع لادباء والشعراء والباحثين واقطاب الكلمة العراقيين والمستشرقين.

جمع الفقيد مكتبة تعتبر من امهات المكتبات في العراق وهي تزخر بامهات المصادر والكتب المخطوطة والمطبوعاة الباحثة في شتى صنوف المعارف الادبية واللغوية والتاريخية، وكان من أمانيه العذاب ان يفرد لها بناية خاصة في داره التي كان ينوي انشاءها ، وكان رحمه الله يفتخر دوما بان عمر مكتبته اكثر من خمسة واربعين عاما.

كان الاستاذ مسكوني من المحدثين من محطة اذاعة بغداد منذ عام ١٩٤٣ كما شارك في العديد من برامج التلفزيون كالندوة الثقافية.

كان يجد متعة عظيمة في اسفاره ورحلاته فقد سافر الى اوروبا وبعض البلاد العربية، ولم تكن زيارته عابرة بل زيارة الباحث المدقق في زوايا المكتبات القديمة ودور الكتب والمتاحف والمعاهد العلمية. ولم يتوان رحمه الله عن المشاركة في المؤتمرات والمهرجانات الثقافية التي كانت تعقد في العراق، وكان آخر ما ساهم به «مهرجان المربد الشعري الذي عقد في البصرة من ١-٧ نيسان ١٩٧١ ترك الفقيد اثارا كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع بعد. اما التي لم تطبع فاهمها:

١- تاريخ واسط.
٢- من ادبائنا واديباتنا بالامس.
٣- اصحاب المقامات ومغنيات صدر الاسلام.
٤- ابراهيم بن عرفة الواسطي المعروف بـ«نفطوية».
٥- قهرمانة المقتدر بـ«الله العباسي».
٦- عشرات المقالات والبحوث.

اما اثاره المطبوعة فهي:
الالحان والتراتيل الارامية والغربية في كنائس البلاد العربية الشرقية «بيروت ١٩٦٥».
تاريخ سني ملوك الارض والانبياء: لحمزة بن الحسن الاصفهاني «تقديم» «بيروت ١٩٦١».
ذكرى الصديق تدوم الى الابد ما قيل في حفلة تابين الخوري بطرس سابا (بغداد ١٩٦٢).
رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في حوادث الجو (تحقيق ونشر) بغداد في ١٩٦٥.
رسائل في النحو واللغة: (١) تمام فصيح الكلام لابن فارس (٢) الحدود في النحو الرماني (٣) كتاب منازل الحروف للرماني ايضا. (تحقيق بالمشاركة مع العلامة الدكتور مصطفى جواد ونشرته وزارة الاعلام ضمن سلسلة كتب التراث في الحلقة (١١) (بغداد ١٩٦٩).
سبط ابن التعاويذي: دراسة ادبية (بغداد ١٩٥٩).
شخصيات القدر: الشخصيات العربية بالمشاركة مع الدكتور مصطفى جواد (بيروت ١٩٦٣).
ترجمة كتاب : فتح العرب للصين ومعركة طلس او الطلخ لغزو بلاد الصين: تأليف الدكتور دي. أم. دتلوب (بغداد ١٩٦٨) عن الانكليزية. الطبعة كاملة محققة وقد طبعت الكراريس الاولى منه وكان من المؤمل الفراغ من طبعه في شهر مايس من هذا الام.
مخطوطة كتاب الفاضل في صفة الادب الكامل لمحمد بن احمد اسحق المعروف بالوشاء نشر خلاصة عنها في مجلة المجمع العلمي العراقي ثم حصل على مساعدة من وزارة الاعلام.
مدن العراق القديمة ، تأليف دوروني مكي ترجمة عن الانكليزية الطبعة الاولى ١٩٣٢ والطبعة الثانية ٩٥٢ والطبعة الثالثة ٩٦١.
من عبقريات نساء القرن التاسع عشر عند العرب الجزء الاول (بغداد ١٩٤٦ والطبعة الثانية ١٩٤٧).
نصارى كسكر وواسط قبيل الاسلام (بيروت ١٩٦٤).
نشر المئات من المقالات الباحثة في التاريخ والادب والفلكلور في عدد من المجلات والصحف العراقية.
اخر أثاره كتاب في الحكم والامثال للوشاء ايضا.
بدأ بتحقيقه قبل ثلاثة اشهر مع صديقه السيد سالم الالوسي ولم يكمله.

-١-

في الحادي عشر من ابريل ١٩٧١ توفى في بغداد علم من اعلام اللغة والادب والثقافة، هو ابو زهير يوسف يعقوب مسكوني، الذي كنا نعتز بعلمه كل الاعتزاز، ونقدر فضله حق قدره، ونفرح برسائله الي ترد الينا من بغداد فرحنا بكل غال وعزيز ونفيس.

توفى مسكوني، فتلقينا النبأ بقلب حزين، وصدر مكتئب، وحيرة لا تعرف الاطمئنان، ولم استطع ان امسك القلم لارثيه، وكيف لي ان ارثيه؟

لقد كتبت نبا وفاته لاخواننا الصحفيين، فنشروه في صحفهم بمزيد من اللوعة، ثم وصلتني رسالة من العلامة العزيزي، وفيها كلمة له في رثائه زادتني لوعة الى لوعة، وحزنا الى حزن..

لقد كان مسكوني ذا خلق متين، واطلاع واسع، ومكتبة زاخرة، وكان حجة فيما يعرض له من بحوث، وما يتناوله من دراسات ، وكل ذلك قربه من كثير من اعلام الادب، كالدكتور مصطفى جواد وغيره، كما كان هو من اعلام تلامذة العالم اللغوي الاب انستاس الكرملي.

وقد توفى مسكوني عن سبع وستين سنة (ميلاده عام ١٩٠٣) ، وقضى اغلب سني حياته موظفا في وزارة المعارف العراقية – نحو اربعين عاما – وكانت وفاته بعد نوبة قلبية لازمته ثلاثة ايام. فترك في قلوب اصدقائه وعارفي فضله حسرة وحزنا عميقين.

-٢-

وموقفي من الكتابة عن مسكوني ورثائه هو موقف الشريف الرضى في رثاء صديقه الكاتب المشهور ابي اسحاق الصابي الذي كتب فيه قصيدته الرائعة الدائعة.
اعلمت من حملوا على الاعواد ارايت كيف خبا ضياء النادي؟

التي ضمنها احر عواطفه، واغلى ذكرياته عن صديق حياته الصابي.
وقبيل وفاة صديقي مسكوني بشهور طرا في ذهني خاطر غريب:
– لو مات مسكوني فماذا اكتب عنه
– افلا استهديه جميع كتبه لتكون هي المعول في التاريخ لحياته وادبه؟
وكانت قد انقطعت عني اخباره بضع سنين وفعلا كتبت اليه رسالة ليس لدى صورة لها، وفي اليوم الاول من شهر فبراير ١٩٧١، وقبل وفاته بنحو سبعين يوما، جاءني منه الرد التالي بعد المقدمات وبعد التحيات:
– ارجو ان تكتبوا لي باسماء الكتب التي تريدونها، لعلي اجدها او بعضها تلبية لرغبتكم الكريمة.
– وكتبت اليه، اقول له: اني في حاجة الى كل ما يوجد عنده من كتب للافادة منها في بحوث ودراسات.
– وانتظرت فلم يصلني رد، بل كان الرد الذي وصلني هو نبأ وفاته..
وازدت الكتابة عنه، فانتظرت ريثما اعود الى القاهرة، لاراجع مكتبتي وما يكون فيها من اشياء عنه، او من اثار له.
ومضت ايام في القاهرة، وعدت الى الرياض ، وانا احمل معي مذكرات صغيرة، تحتوي على ما يمكن ان احمله معي من ذكريات عن صديق العمل العلامة مسكوني.
لقد خلف مسكوني تراثا وفكرا وادبا ثرا وابناء نابغين مشهورين: منهم الطبيب زهير والدكتور لطفي، والفلكي نبيل، وامل، وثلاثة آخرون.
وخلف لاصدقائه اسى متجددا ، وذكريات كثيرة وكبيرة.
كان مسكوني امين مكتبة وزارة المعارف العراقية، وكان وثيق الصلة برجالات الفكر العراقي والعربي..
وبعد احالته الى المعاش عكف على القراءة والكتابة حتى توفى في اوائل هذا العام.
وترك مسكوني عدة مؤلفات منها:
سبط ابن التعاويذي من شعراء العراق في القرن السادس.
مدن العراق القديمة لدورتي مكاي، وقد ترجمه مسكوني، ويقع في نحو ٢٠٨ صفحة وطع ثلاث طبعات (١٩٣٢ – ١٩٥٢ – ١٩٦١).
الجزء الاول من عبقريات نساء القرن التاسع عشر، ويقع في نحو ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط وقد طبع طبعتين (١٩٤٦ – ١٩٤٧) ويشتمل على تراجم ضافية لعائشة التيمورية (١٨٤٠ – ١٩٠٢) وزينب فواز (١٩١٤) ، ووردة اليازجي (١٨٣٨ – ١٩٢٤) ، وقد قدم له الكرملي.
رسائل في النحو واللغة بالاشتراك مع د. مصطفى جوا في التحقيق، وهي ثلاث رسائل: تمام فصيح لكلام لابن فارس، الحدود في النحو للرماني، منزل الحروف للرماني ايضا.
فتح العرب للصين للمستشرق الانجليزي ث. دتلوب، وترجمة مسكوني، وفيه حديث عن معركة طلس الفاصلة (١٣٤/١٣٣ هـ : ٧٥١/٧٥٠م) التي قتل فيها خمسون الفا واسر نصفهم من الصينيين.
رسالة الكندي عن حوادث الجو، مع أراء عن الفيلسوف الكندي (ت ٢٥٣ هـ) وفيها دراسة عن فلسفته ومؤلفاته المخطوطة والمطبوعة.
مخطوطة كتاب الفاضل في صفة لأدب الكامل للعالم الاديب العراقي البغدادي الوشاء (ت ٣٢٥ هـ).
الالحان والتراتيل الارامية والعربية
وقد نشر في مجلة المشرق – حزيران ١٩٦٥.
وقبل وفاته كان يحقق كتابا للوشاء في الحكم والامثال.

-٤-

وقد اقيم للعلامة مسكوني حفل في ذكرى الاربعين على المستوى الشعبي والرسمي، وسيصدر عن وزارة الاعلام العراقية كتاب عنه كما اخبرني الاستاذ شاكر علي التكريتي.
فتحية للفقيد، ولادبه وتراثه، وللقائمين باحياء ذكراه، وله ولآثاره الخلود.

م. الاديب (بيروت) كانون الاول 1971

من مشاهد التشييع حيث رثاه بعض الادباء والاصدقاء وهم السادة سالم الالوسي الذى ألقى كلمة وزارة الاعلام وحافظ جميل وحارث طه الراوى وبهنام فضيل عفاص

مسكوني العلامة

مع الاستاذ كوركيس عواد

في مكتبته

د. محمد عبد المنعم خفاجي
باحث مصري راحل

لقد كان مسكوني ذا خلق متين، واطلاع واسع، ومكتبة زاخرة، وكان حجة فيما يعرض له من بحوث، وما يتناوله من دراسات ، وكل ذلك قربه من كثير من اعلام الادب، كالدكتور مصطفى جواد وغيره، كما كان هو من اعلام تلامذة العالم اللغوي الاب انستاس الكرملي.

وقد توفى مسكوني عن سبع وستين سنة (ميلاده عام 1903) ، وقضى اغلب سني حياته موظفا في وزارة المعارف العراقية – نحو اربعين عاما – وكانت وفاته بعد نوبة قلبية لازمته ثلاثة ايام. فترك في قلوب اصدقائه وعارفي فضله حسرة وحزنا عميقين.

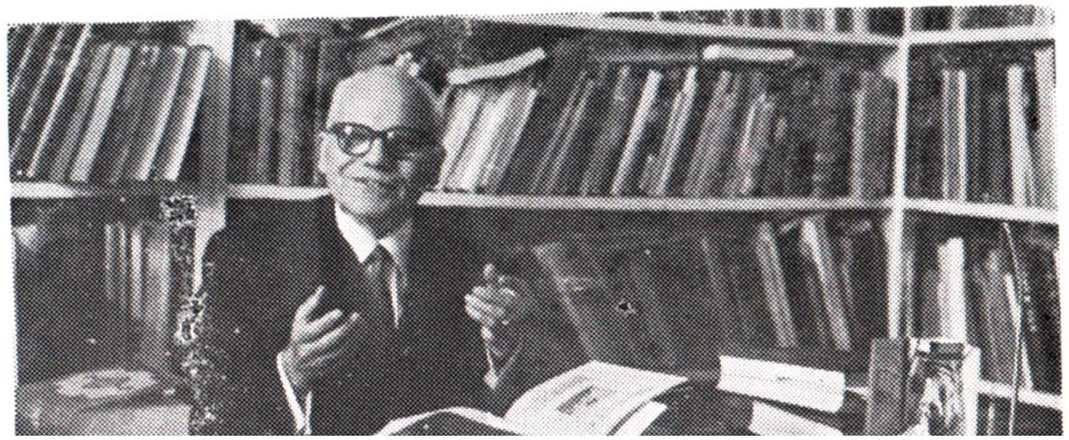

المسكوني معادلة عادلة ...

د. علي كمال
طبيب وباحث نفسي راحل

لا انكر ، متى، واين، وكيف، عرفت المسكوني لاول مرة ولكنني انكر انه استقر في قلبي وخاطري منذ عرفته. ومن ذلك الحين لم يتململ في شيء بسبب ما عرفت، ولم تضق نفسي لحظة واحدة بسبب ما استقر فيها. وقد عنيت منذ ذلك الحين بجسمه احيانا، واستقيت احيانا اخرى من مجالسه الادبية ومن مكتبته الزاخرة، ومن الفيض الرائع من خلقه وعلمه.. وفي السنوات الاخيرة من حياته ضاق بيته عن كتبه واولاده، فأجتذبناه الى السكنى في حينا واستأجرنا له بيتا – وهو الذي يملك مكتبة ولا يملك دارا – ولم تفصل بين دارينا غير نصف دائرة من حديقة الواثق، ولعل في التسمية – الواثق – مصادفة ومفارقة ترمز الى ما نوثق في الجارين من تقدير وتعاطف وحسن صلات.. واليوم.. اجد نفسي واقفا في ذكراه، ويعز علي ان يكون في ذلك فراقا، وانه لم يكن من ذلك بد.. واني وان كنت الاخير من بين المتكلمين فاني لا اجد نفسي من بينهم الاقل او الاخير تحسسا بالخسارة والذكرى .. ولعل الذي وضعني في محل الاخير: اراد، او هكذا يخيل الى ، ان يؤكد مبلغ الرابطة بيننا، ومحل الفقيد عندنا، وبهذا اجد في مكان الاخير رمزا يثير في نفسي الاعتزاز والتقدير. ان التأبين في اللغة معناه قول المديح في الرجل بعد موته، وانا احاذر اخذ مثل هذه المناسبات التأبينية بالكثير من الجد والاهتمام بالنظر لما تتصف به عادة من الاسمان في المبالغة والتفنن في التملق والنفاق، غير اني لا اجد في اربعين المسكوني ما احاذر من هذه الاسباب، ولا اجد حرجا في المشاركة فيه. وعلى نقيض ذلك فاني اجد في هذه المناسبة فرصة للوفاء بدين التقدير لهذا الرجل وذكراه، على ما في هذه من اسى وايلام.

ولعل تحرجي الوحيد هو في الافتراض البعيد في ان (المسكوني) لو كان بيننا اليوم يسمع ما قيل فيه من غيري ومني لتململ في مقعده ولثورد وجهه خجلا ولارتعشت انامله ارتباكا ولقال بصوته الهادي الرقيق .. (لقد بالغتم ولعلكم اخطأتم وما انا برجلكم ولست الا انسانا بسيطا)... قالت الخنساء في مطلع قصيدة ترثي فيها اخاها...

(يذكرني طلوع الشمس صخرا...)

واذا كان لي ان اقتفي اسلوبا مماثلا في مثل ذكرى المسكوني، فيما ذا يذكرني المسكوني؟! اذكر الكثير مما لا ينسى.

يذكرني المسكوني في ذكراه بما كنت اقرأه وانا صغير عن ذلك الرجل الذي لا ينسى.. وهو رجل كان ياخذ من الحياة بالقدر الذي يحتاجه فقط، يعطى للحياة بكل القدر الذي يستطيع. . ونحن نعيش اليوم في زمن ياخذ معظمنا فيه من الحياة اكثر من حاجاتنا ولا نعطي – ان اعطيا – الا الاقل مما نستطيع..

وكل من عرف المسكوني وصاحبه يعلم بانه قد حقق في نفسه وفي حياته هذه المعادلة العادلة من الاخذ والعطاء مما انصف به الرجل الذي لا ينسى.

ولعل المسكوني كان يخادع نفسه في اقامة هذا التوازن بين الاخذ والعطاء اذا كان حتى في اخذه عطاء.. فقد قل ان نجد من الناس ممن ينفقون على حاجاتهم الحياتية اقل مما ينفقون على حاجاتهم العقلية والروحية لفهم الحياة كما كان الحال عند المسكوني. واذا كان للانسان ان يخشى الموت ويستمهله حتى يقضي بعض الباقي من الحاجات في قلبه، فيقيني، انه كان للمسكوني حاجتان، حاجة اشباع العقل بالمعرفة، وحاجة صنع الخير بالعطاء.. ولم يكن هنالك من بد في ان تظل بعض هذه الحاجات "كما هي" لا لان حياته قصيرة ولكن لان حياته حياة انسان وحاجاته حاجات انسان.

ويذكرني المسكوني بما كنت اداعبه فيه احيانا من انه مسك الكون، وكاني اتحايل على اللغة بالاشتقاق، وهكذا كان، وهكذا عرفته وكان الوصف يخجله بعض الشيء وكان يفرحه بعض الشيء. ذلك ان المسكوني لم يكن صاحب سطوة وسلطة فيخشى امره ويتجنب شره ويخطب لذلك وده... ولم يكن صاحب جاه كبير فيجذب الى ساحته كل عاجز ومنافق.

ولم يكن الا رجلا بسيطا جمع في روحه وخلقه من الصفات ما يشعرك بسلطة الروح وجاه الخلق.. واذا انت عرفته ايقنت انك مثله تشعر بان في الحياة غير ما الفناه من عنف وكراهية وطمع ويأس.. وهكذا نجد في الحياة ما وجده من الامل والمسرة والخير.. لقد كان المسكوني يعطيك كل ما عاشه من هذا الشعور وكان (قلبه عصارة الخمر) وكانه يعطيك الطيب وكانه كالمشتق من اسمه (مسك الكون) وهو معدن نادر في ارض الانسان التي اثقلت بالمر والعلقم من الاملاح.

ويذكرني المسكوني برسالة فتى صغير الى اخيه الاكبر ختمها بقوله (من اخيط المسكين...) ورد عليه اخوه زاجرا بقوله (وهكذا فانك تشعر بعدم قيمتك وبانك مسكين اتدري امام من يجب عليك ان تشعر بذلك؟! اما الله وربما امام الفكر الانساني وامام الجمال والطبيعة ولكن ليس امام الناس، فامام الناس يجب على المرء ان يشعر بكرامته).

لقد كنت الاطف المسكوني في حياته بتحوير اسمه الى (المسكين) حتى اصبح النعت بالتكرار كنية يعرفها (ال المسكوني) على ان (المسكين) في المسكوني لم يكن ما تعودناه من مسكنة الضعيف الكسول المتخاذل وانما مثله مثل المسكين الذي يشعر فقط بضالته امام الله واما الفكر الانساني وهو وان كان يعطي انطباعا بانه المسكين ايضا امام الناس الا ان ضالته امامهم لم تكن مسكنة من لا يعرف قدر نفسه ولايكرمها وانما مثل الرجل البسيط الذي تقمص في روحه واستوعب في خلقه كل الصور والمزايا والصفات التي لا تتيسر الا للمؤمن بكل ماهو حق وخير وجميل وشريف في الحياة . ومن كان هذا امره اضفى على نفسه بدون تكلف هالة وضاءة من القدسية لا تلبث ان تراها ولا تلبث ان تؤخذ بسناها ولابد لنا عندئذ ان نلقي انفسنا مصطرين الى اعادة تقييم انفسنا والمسكين من جديد.. واذا نحن نخلص الى الشعور بضالة انفسنا من حيث لا ندري والى رفع قدر (المسكين) من حيث لا نريد وبهذا يصبح هذا النمط من المسكين (المسكوني) رمزا لضالة الانسان ولعظمته في آن واحد.

هنالك قولان لاحد الفلاسفة المعاصرين قد يبدو تناقضهما لاول وهلة .. اولهما قوله (ان الموت ليس لحظة في الحياة ولا نعيش حتى نراه) وثانيهما قول (ان حياة الانسان كمد يضره كلاهما لاحد لهما).. ومنا من يجد حكمة في القول الاول ويؤمن بان الموت ليس من الحياة وانه (العدم.. العدم) ما بعده شيء..

ومنا من يؤمن بامتداد الحياة ويرى في الموت وفي موت من نحب لحظة ثم يستفيق بعدها الى خلود لانهاية له واذا هو كمن (يحمل موته على كتفيه) واذا (الموت هو الميت) واذا هو لم يمت وانما الموت الذي مات..) وقد كان المسكوني من هذا النمط الثاني الذي يؤمن بامتداد الحياة. وقد عاش حياته في عالمنا الانساني وهو لا يعلم فرقا ولا حدا بين (الان) و(بعد).. واعد لذلك نفسه وروحه للاثنين معا بهدوء وثقة وبساطة وشجاعة وايمان. ولعل بعضنا يجد مغزى وسلوى في ان المسكوني قد انتقل الى عالمه الاخير في الساعات الاولى من صباح احد عيد الفصح ساعة الصعود الى السماء.. ولعله كان له في ذلك ما اراده لنفسه وما اصبح النعت بالتكرار كنية يعرفها (ال المسكوني) على ان (المسكين) في المسكوني لم يكن ما تعودناه من مسكنة الضعيف الكسول المتخاذل وانما مثله مثل المسكين الذي يشعر فقط بضالته امام الله واما الفكر الانساني وهو وان كان يعطي انطباعا بانه المسكين ايضا امام الناس الا ان ضالته امامهم لم تكن مسكنة من لا يعرف قدر نفسه ولايكرمها وانما مثل الرجل البسيط الذي تقمص في روحه واستوعب في خلقه كل الصور والمزايا والصفات التي لا تتيسر الا للمؤمن بكل ماهو حق وخير وجميل وشريف في الحياة . ومن كان هذا امره اضفى على نفسه بدون تكلف هالة وضاءة من القدسية لا تلبث ان تراها ولا تلبث ان تؤخذ بسناها ولابد لنا عندئذ ان نلقي انفسنا مصطرين الى اعادة تقييم انفسنا والمسكين من جديد.. واذا نحن نخلص الى الشعور بضالة انفسنا من حيث لا ندري والى رفع قدر (المسكين) من حيث لا نريد وبهذا يصبح هذا النمط من المسكين (المسكوني) رمزا لضالة الانسان ولعظمته في آن واحد.

هنالك قولان لاحد الفلاسفة المعاصرين قد يبدو تناقضهما لاول وهلة .. اولهما قوله (ان الموت ليس لحظة في الحياة ولا نعيش حتى نراه) وثانيهما قول (ان حياة الانسان كمد يضره كلاهما لاحد لهما).. ومنا من يجد حكمة في القول الاول ويؤمن بان الموت ليس من الحياة وانه (العدم.. العدم) ما بعده شيء..

ومنا من يؤمن بامتداد الحياة ويرى

عن الكتاب التذكاري

قد كنت الاطف المسكوني في حياته بتحوير اسمه الى (المسكين) حتى اصبح النعت بالتكرار كنية يعرفها (ال المسكوني) على ان (المسكين) في المسكوني لم يكن ما تعودناه من مسكنة الضعيف الكسول المتخاذل وانما مثله مثل المسكين الذي يشعر فقط بضالته امام الله

صديق العمر

كورکيس عواد
باحث تراثي راحل

كلاهما صديقان حبيبان منذ عهد الصبا. فما اشق على الصديق ان يودع صديقه الوداع الاخير، ويرثيه بالدموع والحسرات عربونا للوفاء والاخلاص ورفقة العمر.. وها هو الاستاذ كوركيس عواد يرثى صديق العمر.

لعل معرفتي بالفقيد الراحل ابي زهير، تعود الى ايام الصبا، يوم كنا طلابا يافعين، نجلس على رحلة واحدة في الصف الرابع الابتدائي في احدى مدارس مدينة الموصل. وكان ذلك في اوائل سنة ١٩٢١، وقد توطدت اواصر الصداقة بيننا منذ ذلك الزمن البعيد، ودامت الصلة الاخوية بيننا خمسين سنة كاملة، لم يزدها من الايام الا تمكنا.

وجدت في فقيدنا العزيز من خلال هذه السنين اخا كريما وصديقا صدوقا واديبا امعياً، وباحثا محققا ولقد اجتمعت فيه سجايا وخصال حميدة حببته الى قلوب الناس وقربته من نفوسهم فقد كان على خلق عظيم سليم الطوية كبيرة القلب، محبا للخير، لم يعرف الشر الى نفسه سبيلا ولم يسيء الى احد وليس بين عارفيه من في وسعه ان يناله بكلمة تثلبه او تشوه ما ازدان به من صفات.

ثم مضى على ذلك سنوات عديدة، باعدت بيننا اعباء الوظيفة: هو في بغداد وانا في الموصل، فكان احدنا يكاتب الاخر، حتى قدمت الى بغداد في اواخر سنة ١٩٣٦ واقمت فيها، فعدنا الى ماضي سيرتنا، فكانت الزيارات متصلة واللقاءات متواترة. وكثيرا ما رأيته مكبا على كتبه واوراقه. وفي اثناء ذلك كنا نتذاكر في موضوعات ادبية تاريخية شتى. وكان له من السيدة زوجته الأديبة الفاضلة خير محفز اللمضي في ميادين البحث والتأليف.

لقد اتيح للاستاذ الفقيد، ان يكتب في التاريخ والتراجم والادب واللغة، فنشر مقالات كثيرة في الصحف والمجلات، والقى احاديث جمة من دور الاذاعة، وصنف وترجم وحقق طائفة حسنة من الكتب، اتيح له ان ينشر بعضها، واذكر منها على سبيل المثال: كتاب "مدن العراق القديمة" ، وكتاب "من عبقريات نساء القرن التاسع عشر عند العرب"، وكتاب "سبط ابن التعاويذي" ، واحدثها "رسائل في النحو" ، وغير ذلك مؤلفات اخرى لم يتهيأ له نشرها في حياته ولعل الفرصة تسنح لابنائه البررة، ان يحققوا ما كان والدهم يصبو اليه من امر طبعها، فيتيسر للناس حينذاك الوقوف عليها والافادة منها. كان فقيدنا الراحل، على صلة وثيقة بجماعة من ادباء العراق، فضلا عن اصدقائه من ادباء بعض الاقطار العربية الاخرى.

امضى هذا الصديق العزيز سنين طوالا في اقتناء الكتب واحرازها حتى اجتمعت لديه منها مكتبة حافلة بامهات المراجع التاريخية والادبية كانت له معوانا على دراساته ومطالعاته. فكان يلجأ اليها ويستفتيها في بحوثه وتاليفه.

واذا كانت هذه المكتبة موضع عنايته واهتمامه فلقد كانت له في حياته ناحية اخرى هي مبعث سروره واعتزازه. تلك هي ابناؤه الاوفياء الصالحون الذين شارك. هو وزوجته الفاضلة في تربيتهم وتنشئتهم على خير ما اراده لهم. وقد شق بعضهم لنفسه سبيل الحياة ومهده فحالفهم النجاح في دراستهم. فهم اليوم ممن يفاخر بهم. ومازال بعضهم الاخر يترسم خطى اخوانهم الذين سبقوهم في السير الى الامام. فيا ايها الراحل العزيز، ويا رفيق الصبا، ويا صديق العمر: ان الحديث عنك حديث طويل مملوء بالذكريات ، وما كتب عنك ليس الا لمحات خاطفة وومضات قصيرة، وهي اقل من ان تفي بحقك. فلقد امضيت حياتك بقلب مفعم بالصفاء والخير، وسعيت في خدمة ابناء امتك ووطنك، وضحيت بالغالي والرخيص في تربية اولادك، واديت رسالتك الادبية خير تأدية. فنم قرير البال، آمنا مطمئنا، ان اخوانك واصدقاءك وعارفي فضلك، سيذكرونك على الدوام، ويلهجون بمأثرك، ويستنزلون عليك الرمات الواسعات.

ملف اعدته الف باء عن مسكوني
اذار 1977

في حفل تأبين مسكوني ابراهيم السامرائي وعبد الهادي التازي (سفير المغرب) وعبد الرحمن التكريتي

يوسف مسكوني.. كما عرفته

يوسف اسعد داغر
اديب لبناني راحل

ربطتني بالراحل العزيز يوسف مسكوني اواصر متينة من الصداقة والمحبة والاخاء امتدت اكثر من ثلاثين سنة لم تجتمع خلالها سوى مرة واحدة لاغير وذلك في مهرجان المربد الذي اقيم في البصرة في مطلع نيسان ١٩٧١ حيث اتيح لي ان القاه وقريته الفاضلة فتحقق بهذا اللقاء ما كنت اطمع دوما فيه وارنو اليه وقد قيض لي الله ان اراه وان اجلس اليه واستمتع بلطفه وانسه وعلمه بعض سويعات سمحت بها وهيأت اسبابها نشاطات المهرجان. فكان لقاء جاء خاتمة المطاف وكان وداعا اخيرا لم يكن احد ما يتوقعه بمثل هذه السرعة.

وجاء هذا الاتصال الاول والانطباعات التي ارتسمت في اعماق النفس من هذا اللقاء العابر ينسجم كل الانسجام، مع ملامح الصورة التي استقرت للمرحوم يوسف في ذهني من خلال الاتصالات الفكرية التي قامت بيننا خلال ربع قرن واكثر وعبر هذه الرسائل التي طالما تبادلناها بمناسبات عدة كتبادل المعايدات عند حلول الاعياد.

من سمات هذه الصورة الذهنية التي استقرت في النفس، اتصافه بالادب الجم واللطف والكياسة وطلاوة الحديث، الى نضج في التفكير، وحذق في الرأي والاحكام وبعد نظر في ما يعرض له من امور او يواجه من مشكلات، وكنا نتحاور ونتبادل الاراء حول تربية الاولاد، والسهر على نموهم وتطورهم العقلي والروحي والاخلاقي، ووجوب تسليحهم للحياة ليثبوا رجالا ينهضون بالمسؤوليات التي ستترتب عليهم في المستقبل الطالع. وكان حديثه حديث اب عطوف، مستنير العقل ناضج الفكر، عميق التجربة في الحياة ، نشعر في الحديث معه او من خلال قراءة رسالته بمقدار اهتمامه البالغ باولاده، وحرصه على تامين كل ما يكفل لهم صحة الجسم وصحة العقل، ويغرس في قلوبهم ونفوسهم: الصدق والاخلاص والثقة بالنفس، وحسن الاستعداد للخدمة بحيث يكونون خميرا صالحا في جيلهم وبيئتهم. هذه الصفات وجملة من مكارم الاخلاق تبينتها في قلب فقيدنا العزيز من خلال ما كان يواصلني من رسائل تنبض بالعطف والحنان على اسرته واولاده كما كانت تفيض بالاخا والوفاء لاصدقائه وخلانه، وحسن استعداد للخدمة. كل هذ تبدى لي من سرائره وقد جاءت ملازمتي له خلال مهرجانات المربد في البصرة، والاستماع الى احاديثه الحلوة، مصداقا وتاييدا للصورة التي استقرت له في اعماق نفسي سويعات نعمت فيها بلقائه مع زوجته الفاضلة، الا انه لقاء قصير تعاهدنا على مواصلته بعد رجوعنا الى بغداد ، فجاء القدر الغاشم يبعث بهذه المواعيد وبالامل في اتصالات لاحقة فيفجعنا بوفاته على حين غرة من الجميع، ليخلف وراءه اللوعة والحسرة والاسى.

بين ملامح هذه الصورة الخلقية والنفسية التي

جاء هذا الاتصال الاول والانطباعات التي ارتسمت في اعماق النفس من هذا اللقاء العابر ينسجم كل الانسجام، مع ملامح الصورة التي استقرت للمرحوم يوسف في ذهني من خلال الاتصالات الفكرية التي قامت بيننا خلال ربع قرن واكثر وعبر هذه الرسائل التي طالما تبادلناها بمناسبات عدة كتبادل المعايدات عند حلول الاعياد.

ارتسمت على لوح فليس ليوسف مسكوني، فاستهوتني وجعلتني اطمع في لقياه واصبوا الى رؤيته تقاطيع اخرى برزت معها معالم رجل من رجال الفكر والادب والتحقيق في العراق الحبيب، من يلق نظرة عابرة على جملة مؤلفاته وآثاره الادبية يتبين فيها باحثا مدققا عمل جاهدا في حقل الاحياء العلمي كما عالج العديد من القضايا التاريخية التي تتصل بتاريخ العراق عامة وتاريخ المسيحية فيه خاصة. فقد كشف لنا عن مدن العراق القديمة عندما راح ينقل لنا كتاب (مدن العراق القديمة لدورتي مكاي). عرف اديبنا الكبير بالتحقيق العلمي، فحرص على الاحاطة بالموضوع الذي يعالج احاطة تامة بحيث ينفض عن موضوعه كل ما خفي من شؤونه، واني لاذكر بهذه المناسبة عددا من الرسائل شرفني بها، وهو يمد كتابه: "من عبقريات نساء القرن التاسع عشر عند العرب".. يطلب فيها الى تزويده بما لدى من المصادر والمراجع الخاصة بمريانا المراش ووردة اليازجي ووردة الترك. وغيرهن من الاديبات اللواتي ترجم لهن في كتابه المذكور، الذي صدر في بغداد عام ١٩٤٦ ان لم تخني الذاكرة. فقد كان حريصا الحرص كله، على ان يحيط بموضوعه من كل جوانبه، وان يجمع مصادره ومراجعه، ولو من الصين، فكيف بلبنان وله فيه اخ حبيب يفخر بصداقته وبقدره عاليا.

وهكذا نرى ان الكتب التي حققها راحلنا العزيز واحياها بالنشر امتازت بالدقة العلمية والتتبع الدؤوب، بحيث اتت مخدومة وميسرة، يسهل تناولها والافادة منها باسرع ما يكون. وقد تميزت الكتب التي عمل عزيزنا الراحل على تحقيقها منفردا او مشاركا من (رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في حوادث الجو) الى (تاريخ سني ملوك الارض والانبياء) لحمزة بن الاصفهاني الى (رسائل في النحو واللغة) وغيرها مما نضرب صفحا عن ذكرها هنا، بالضبط الاسر والخدمة المحققة الامر الذي يجعل من فقيدنا الغالي يوسف يعقوب مسكوني عالما فاضلا ومؤرخا مدققا بين محققي العراق ومؤرخيهم اليوم. ونحن نعرف ان المرحوم يوسف ترك اثارا اخرى لم يفسح له الاجل في اخراجها للناس كما انه كان يعمل على تحقيق بعض المخطوطات الاخر، على ان الموت اختطفه من بين اهله ومحبيه مخلفا وراءه اللوعة والاسف.

وهكذا نرى ان فقيدنا العزيز كان في حياته كزوج واب وعالم حقا لا يتحدى وصورة كاملة للرجل الفاضل الذي وصفه لنا الشاعر عندما يقول فيه:

كانك من كل النفوس مركب
فانت الى كل الانام حبيب

وهل من عجب بعد هذا ان تجتمع الصفوة من اصحاب يوسف مسكوني واصدقائه ومقدري فضله ليشهدوا فيه شهادة حق، هي للحق والتاريخ ذكرى وعبرة وذكرى الصديق تدوم الى الابد.

من رسالة خاصة ارسلها يوسف اسعد داغر
بيروت في 1971/11/1

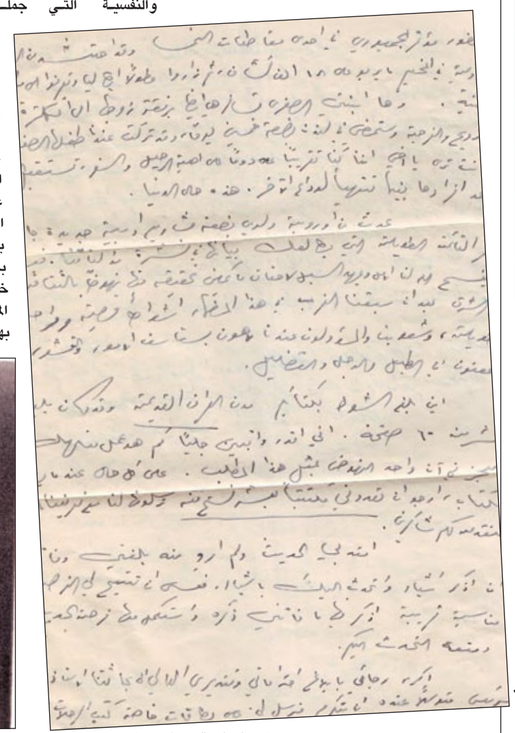

صورة رسالة داغر الى مسكوني عام ١٩٥١

في استقبال ماسينيون مع كوركيس عواد واحمد سوسة ويعقوب سركيس وسعدي خليل

اديب عرفته

د. حسين محفوظ
باحث واكاديمي راحل

عرفت المرحوم يوسف يعقوب مسكوني قبل نحو من ربع قرن وفي مثل هذا الشهر، من سنة ١٩٤٨.

كان يقربه الي ود وفضل وتحبب، ويدنيني اليه خلق وعلم وادب. كان يعبر دائما وابدا عن اعتزازه بها. وقد كان ذلك اساسه في مصادقة الاخوان. ومن اجل ذلك لا ارى في التعريف به حيا وميتا خيرا من عبارة "الصديق الفاضل".

واراني لا استغني عن استعارة العنوان الجميل النبيل الذي اختاره للمجموع الذي قيل في تأبين الخوري الفاضل بطرس سابا. وهو (ذكرى الصديق تدوم الى الابد) للتعبير عما في انفسنا من حبه واعزازه فان ذكراه تفوح دائما بعبق مودته وتضوع ابدا باريج صداقته.

ترجم كتاب "مدن العراق القديمة" للاثاري "دورثي مكاي" سنة ١٩٣٢. وكان هذا الكتاب باكورة اعماله. وله الفضل في التعريف بادبه، واتقانه اللغة الانكليزية، التي كان من خيار العارفين بها وقدمائهم في العراق.

تعرض في كتاب المدن – هذا – لكوريكلدر، طيسفون ، سلوقية، اكد، سيبار، كوثي، كيش، بابيلو، بورسبا، نيبور ايسين، ادب، اولوخ، لارسا، شوروباخ، فاره، جوخا، اور، تل العبيد، اريدو، لاكاش، اشجالي، اوبي، آشور، هترا، (الحضر)، نينوى، كلح، دورشاروكين واربيلا. وقد زين طبعته الثانية والثالثة بالتعليقات والفوائد والحواشي والمعلومات المفيدة.

وبعد كتابه، من عبقريات نساء القرن التاسع عشر، من تأليفه الجميلة الطريفة فقد استودع في فصله الاول الكلام عن مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية وعرف بالمراة الصالحة وذكر صفاتها واختلاف طباعها عن الرجل واشار الى حبها ووفائها. ولم ينس ضروريات المراة وكمالياتها. وخصص فصلا لانتقاء الرجل شريكته في الحياة، وختم الفصل بكون المراة تاج الرجل.

وترجم في الفصول الثلاثة الاخر السيدات عائشة التيمورية، ووردة اليازجي، وزينب فواز فاضلة جبل عامل في لبنان، فاحاط بسيرهن واذابهن، واثبت نماذج من طرائف شعرهن.

وكان يود ان يذكر زوجة عم جدي المرحوم الشيخ علي بن الشيخ حسين محفوظ الذي كان اذا فارق زوجته راسلها وراسلته وقد جمع الشيخ محمد على آل عز الدين العاملي مراسلاتهما الشعرية والنثرية في مجموعة ذهبت بها حوادث لبنان ويظن افاضل جيل عامل انها فقدت في ايان عزو الفرنسيين.

وعرض في كتاب شخصيات القدر تراجم النعمان بن المنذر وقطري بن الفجاءة ومحمد بن القاسم الثقفي وابي حيان التوحيدي والرحالة ابن جبير وابن الفارض والسائر الهروي، والسندباد البحري وابن دانيال المصري وابن طباطبا.

واخرج كتاب تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء لمؤلفه الحمزة بن الحسن الاصفهاني ورسالة الكندي في حوادث الجو، وثلاث رسائل في اللغة والنحو والفاضل للوشاء، عدا عن مقالات ودراسات في الموسيقى والادب والتاريخ ومنها رسالته حول سبط ابن التعاويذي وغيرها.

رحم الله يوسف يعقوب مسكوني فلقد كان صديقا صدوقا جم الادب كريم الخلق، واسع الصدر، مؤدب النفس خافض الجناح وذكراه كما قال هو في ذكرى سابا: (تدوم الى الابد) كان ذلك شعاره بالامس، وهو شعارنا اليوم وغدا، من قبل ومن بعد.

صورة مسكوني الناطقة

حارث طه الراوي
اديب عراقي مقيم في دولة الامارات

ليس عجيبا ان يرحل (مسكوني) على حين غرة، ويسمو الى الملأ الاعلى قبل الاوان من غير وداع..

ليس عجيبا ان نبحث عن الشخص الذي كان بيننا قبل ايام ، فلا نجد له اثرا على الاطلاق..

ان ما يحدثه الرحيل المفاجئ من العجب وما تثيره المنية من رهبة ودهشة، كل ذلك يخف بالتدريج، وتعود الامور التي تذهل العقل، وتجلد الروح، مألوفة، بدافع الفسر والاضطرار..

اما ان يغيب الموت انسانا نشيعه الى مثواه الاخير، ولكنه يتمرد على هذه الغربة الابدية فيعود الينا بشكله وصوته وابتسامته وشمائله لا بمادته، هيولاء فيلازمنا وتلامزة. ولا يفارقنا على الاطلاق فهما هنا العجب، بل اعجب العجب!.

وهذا هو شان (يوسف يعقوب مسكوني) معنا فما فارقنا مضطرا الا ليعود الينا مختارا. وما فارقناه مرغمين الا لنعود اليه مختارين. تشهد على ذلك صورته السحرية العجيبة المتكئة على جدار غرفة ضيوفه، فهي تبش بوجوهنا كلما امممنا دار، وترحب بنا كلما ولجنا منزله المعطر الارجاء بشذى ذكرياته، حتى ليخيل الينا احيانا ان صورة مسكوني الباسم تحاول لفرط احتفائها، لاحبة ، ان تحطم الاطار والزجاج لترتمي على الثغور والخدود وتروى غليل الاشواق..

حتى لنكاد ان نلمح خلف شمس هذه الابتسامة المشعة غيوم كآبة نفسية، وظلمات حسرات اذ كيف يرى ابو زهير ضيوفه في منزله ولا يستطيع ان يرحب بهم ويكرمهم ويسامرهم؟! لقد عودنا ان يفتح باب المنزل بنفسه هاشا باشا مستبشرا، فكيف يكون اليوم اسير اطار وزجاجة – لذا فهو يتعذب – رغم ابتسامته المشعة التي تشبه ابتسامة (مطران) القائل:

فان ترثى والحزن ملء جوانحي
ادارية فليغرك بشرى وايناسى

انه يريد ان يجلس معنا ويشاركنا بارتشاف فناجين القهوة، انه يريد ان يدخن سيكارته وانمله ماتزال مشتاقة لمسبحة الكهرب الانيقة، التي كانت احجارها ترتطم بهدوء كلما مرت عليها انامله الحانية..

اما شوقه الى مكتبته، بل محرابه، حيث كان يتعبد فيكاد ان يلتهب ويضيء كأنه منبثق من شوقه الى أم زهير واشباله..

لقد عاد يوسف الى الحياة بهذه الصورة العجيبة...

كلمة القيت في تأبين الراحل مسكوني

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2290)
السنة الثامنة
الخميس (27)
تشرين الاول 2011

الأديب والعالم الفاضل

ع مير بصري
اديب ومؤرخ راحل

نشأ فقيدنا الكريم بينما، فعرف منذ الطفولة قسوة الحياة وشظف العيش وكبر عصاميا لا يعتمد الا على نفسه، يرى في الحياة كفاحا مستمرا وعملا متواصلا لا مكان فيها للهو والعبث. وهكذا دأب منذ نعومة اظفاره على الجد والجهد الصادق يسهر الليالي في طلب العلم ويقضي نهاره في العمل المفيد.

وقد غادر يوسف مسكوني الحدباء بعد محنتها الاقتصادية وهو صافي النفس كالذهب الذي مر بالبوتقة وجاء الى بغداد فانتمى الى دار المعلمين، وانضوى الى سلك التعليم، وتنقل في تربية النشيء بين المقدادية والاعظمية والخالص وبغداد وانتهى به المطاف الى ديوان وزارة التربية ملاحظا للمكتبة ومترجما. كان في نفسه منذ ذلك الحين ظمأ شديد الى المعرفة ، فطالع الكتب، واكب على البحث، وتعرف برجال الادب واساتذة التاريخ واللغة، وفي مقدمتهم المرحوم الدكتور مصطفى جواد زميله في مدرسة الخالص . واتصل بآل انستاس ماري الكرملي فحضر منتداه العامر وجلس منه مجلس التلميذ المخلص المحب من استاذه.

ولقد قيل ان وراء كل اديب امرأة. وكان وراء الراحل امرأة مدبرة فاضلة، هي زوجه المصون التي شاركته في سني العمل والجهاد، وهيأت له الراحة المنزلية، وجعلت من داره ندوة ادبية يحضرها الادباء والشعراء ورجال العلم والفضل. ما اسعد تلك الاسرة التي ربت ابناءها خير تربية، فكان منهم الطبيب والكيمياوي والفلكي والاديب، يحفون بابيهم كالهالة النيرة

لقد قيل ان وراء كل اديب امرأة. وكان وراء الراحل امرأة مدبرة فاضلة، هي زوجه المصون التي شاركته في سني العمل والجهاد، وهيأت له الراحة المنزلية، وجعلت من داره ندوة ادبية يحضرها الادباء والشعراء ورجال العلم والفضل. ما اسعد تلك الاسرة التي ربت ابناءها خير تربية، فكان منهم الطبيب والكيمياوي والفلكي والاديب، يحفون بابيهم كالهالة النيرة

قم انعم الله عليه نعما
يشكرها مصليا مبتسما
من زوجة كاملة رقيقة
محبة صافية السليقة
ثم ابنة ادبية مهذبة
الى القلوب كلها محببة
وستة من افضل الابناء
كالانجم الزهراء في العلاء
حازوا على الاداب والاخلاق
فهم جميعا انفس الاعلاق
حفوا به – وهو لهم خير اب
متسم حقا بفضل الادب
فهذه توقظه صباحا
تقدم الماء له قراحا
تاتي له باطيب الطعام
ناطقة باعذب الكلام
وذاك يصغى لتلقى امره
منفذا ما يبتغي من فوره
واخر يلبسه رداءه
مستمعا في ادب اراءه
وقالت يركبه السيارة
منتظرا من امره الاشارة
وتلك تمضي في انتساخ ماكتب
خوف الضياع لا تبالي بالتعب
والام ذي السيدة الوقورة
بامره صادعة شكورة
ان حلاوة تلك المجالس الزاهرة
والاحاديث الطلية والمفاكهات الجنية
لتترك في قلوبنا الان شعور الاسى
واللهفة الخانقة المريرة.
ولكن ايها السيدات والسادة، ما لنا ننسى ونتالم، وقد اصبح صديقنا في ذمة التاريخ؟ مخلفا اطيب الذكريات والاحاسيس ؟ لقد كان عمله صادقا نافعا، اخرج اجيالا من التلاميذ المثقفين الذين يخدمون امتهم ووطنهم، وترك مؤلفات وبحوثا لها قيمتها على مر العصور. صنف تراجم العديد من رجال الفضل والادب، ونشر عبقريات النساء في القرن التاسع عشر، وترجم كتاب مدن العراق القديمة، وحقق من التراث القديم شعر سبط ابن التعاويذي ورسالة حوادث الجو للفيلسوف الكندي ورسائل في النحو واللغة لابن فارس والرماني وغير ذلك. وتوفي ، عليه رحمة الله ورضوانه، وفي المطبعة تحقيقه لكتاب الفاضل في صفة الادب الكامل للوشاء.. وقد اكب اعواما طويلة في وضع كتاب جامع عن واسط ارجو ان يرى النور ليكون اثرا خالدا للفقيد الراحل.

تلك جوانب من شخصية هذا الرجل الاديب البحاثة الذي تجتمع اليوم لتحية ذكراه، وكيف نستطيع في هذه العجلة ان نحيط بشخصيته واضحة كاملة؟ لقد حضرنا قبل اسابيع في هذه الباحة المقدسة لتوديعه، فاستمعنا بسكينة وخشوع الى التراتيل الصافية النقية التي تهز النفوس وترفعها الى الملكوت الاعلى حيث يفنى الموت وتكتب سطور الحياة.

لقد تذكرت في مأتم الفقيد العزيز ما كتبه هو نفسه قبل سنوات عن الالحان والتراتيل الاغريمة والعربية في كنائس البلاد الشرقية، فسيحت في لحظة الحزن المضض، وارتفعت نفسي في صلاة الهية سامية، ورأيت روح الفقيد تطل على الجمع الحاشد راضية مرضية، يغمرها فيض السعادة السرمدية، لانها ادت الواجب المقدر لها على الارض وعادت الى منبعها الرباني الاصيل.

فالسلام على تلك الروح الطيبة النقية، ولكم، ايها الجازعون الاسفون، اسال جميل الصبر والسلوان والعزاء.

كتاب اعلام العراق
الجزء الثالث

مسكوني.. الرجل المهذب

ع عدنان مردم
اديب راحل وعضو المجمع العلمي في دمشق

واذى، صان قلمه ولسانه عن هجر القول فلم يسف ولم يفحش فلا غرو اذا احبه الناس واكبروا فيه نبل الخلق.

انه ليؤسفني حقا ان تنطوي تلك الشمائل المهذبة في زمن فاجر، يكبد به القريب لقريبه ، ويغدر به الخليل بخليله دون زاجر من خلق او وازع من حياء.

مجلة المعرفة السورية 1971

مسكوني مع اسرته في الخمسينات من القرن الماضي

وخلانه ولم يضق يوما ذرعا بصديقه ولم يقطع لخليل حبلا، يرعى عهد اصدقائه على البعد والقرب، يصل القريب منهم بزياراته والبعيد منهم بالكتابة اليهم.

لم ينقطع عن مكاتبته لي في كل مناسبة، ولم ينس تقديم ما يصدر له من مؤلفات.

تتبعت اكثر آثاره الادبية ، فالقيتها رصينة اذ تنزه قلمه بها عن كل سوء ومغانيها وكان يرافقني في زياراتي التي اقوم بها لبعض ادباء بغداد ردا لهم على زيارتهم لي.

كانت الابتسامة الرقيقة لا تفارق شفيه حين يحدث وحين يستمع ، واذا ما انتهينا من تطوافنا قدم نفسه مجددا ليكون لي الرفيق والمرشد حيث ابقى.

عرفت بالفقيد الدماثة، ولمست الوفاء والصدق، كان وفيا لاصدقائه

ادب راحل وعضو المجمع العلمي في دمشق

ادب اقمناه مقام الوالد

فلا عجب اذ خص الفقيد مسكوني الاستاذ خليل مردم بك بزياراته والاستاذ مردم بك شاعر الشام واديبها ومن الاشياء المسلم بها ان رابطة الادب كرابطة الرحم والنسب.

توطدت اواصر الصداقة ما بيني وبين الاستاذ يوسف علي قصر المدة التي سلختها في بغداد، اذ لم تتجاوز الشهر الواحد ولكن هذه المدة القليلة، كانت على قصرها كافية لدراسة مزايا الفقيد الخلقية فقد كان رحمه الله مهذبا الى تحذف غاية التهذيب، جم التواضع، رصين الحركات، يتكلم بصوت رقيق هادئ وكانت من صفاته الغيرية والتضحية، لانه لم يكن انانيا، عاش لاخوانه، ولم يبخل عن صديق بما يستطيع بذله.

خصني بساعات فراغه ليطلعني على معالم بغداد الاثرية وعلى رياضها

ان الناحية الى ساخصها بالكلام تدور حول كرم خلق الاستاذ يوسف وما اجل ان يكون الانسان متمتعا بكرم الخلق لان كرم الخلق موهبة كبرى لا تتأتى لكل انسان في حين ان الثقافة والسياسة والادارة والعلم اشياء يكتسبها الانسان بالجد والجهد ولكن كرم الخلق وحده لا يكتسب بالجهد وانما هو فطرة وخبرة وموهبة من الله جل وعلا. تلك الموهبة التي ترقى بالانسان الى مصاف الملائكة الابرار.

ذكرت ان معرفتي بالفقيد ترجع الى عام ١٩٥٢، اذ كان يتردد كثيرا على والدي بداعي صلة الادب التي تربط بين الاديب والاديب، وقديما قال الشاعر الطائي:

ان يكن مطرف الاخاء فاننا
نغدو ونسرى في اخاء تالد
او يفترق نسب ، يؤلف بيننا

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

من هو يوسف يعقوب مسكوني؟

بقلم حميد المطبعي

صورة نادرة لمسكوني مع زوجته

يوسف يعقوب مسكوني (١٩٠٣ – ١٩٧١) باحث، محقق، مؤرخ، بلداني، وبوطنية متوازنة الابعاد، وبوعي قومي تراثي..! ولد في الموصل.. وفي سنته الثالثة فقد والده، وفقد امه في سنته الرابعة، ولم ينشئ اليتيم هاجسا كتابيا في صياغة طفولته، بل ذهب طفلا يتحدى حياته في حاضنة اخواله، وحيث تفجرت في عينيه بارقة الانتماء، نسب الى مدرسة (الطائفة الاهلية) وهي اشبه بمعهد علمي تعلم الانكليزية والفرنسية والتركية فضلا عن لغته العربية، وما ان بدأت خيوط الحرب العالمية الاولى تلوح في افق العراق، حتى شرع مسكوني (الفتى الطري العود) يقرأ اخبار الحرب في صحف انكليزية.. ثم نقلوه الى مدرسة (شمعون الصفا) وفيها تدرب على السريانية لهجة ثم نطقا فقراءة في كتبها القديمة، وكان دماغه كان يتجه الى التشعب والتعدد..!

في عام ١٩٢٣ – ١٩٢٦ درس في (القسم الراقي) بدار المعلمين الابتدائية ببغداد، وفيها تلقى توجيه المربي ساطع الحصري: (يوسف كن على منهج الادبي) مثلما تلقى توجيه العلامة طه الراوي: (التراث سيساعدك على العلمية يا يوسف).. وكان في محاضرات الحصري والراوي وجد ضالته في البحث والتنقيب والاستنارة.. ويتخرج في دار المعلمين ويكتب مقالة في صحيفة محلية بعنوان (اثارنا في ظلال الوادي العريق) ويعرضها على الحصري فيباركها ويعينه معلما في قرى محافظة ديالى ١٩٢٦، وينقل بعدها الى بغداد، ثم يستقر في مدرسة (الطاهرة) .. وفي اضبارته بوزارة التربية نقرأ عناوين شهرته في غير وثيقة، وثيقة تبشر به اديبا واخرى تنادي به تربويا ضليعا، ومجموعة من نوافيع مفتشين تربويين نوصي بنقله الى الوزارة كادرا متفوقا في الاشراف على المناهج، وثمة تقرير بين تلك الوثائق كتبه مدرس التاريخ في دار المعلمين (محمود نديم اسماعيل) يصف مسكوني وهو طالب عام ١٩٢٥ بانه : (فيلسوف والهادئ المتروي، ومتصلب في ارائه..) ويختم تقريره بانه يتوسم له (مستقبلا زاهرا في العلم والمعرفة).. بل كان شعلة من الخواطر في رواية اساتذته..!

وفي عام ١٩٤٤ نقل الى وزارة المعارف (التربية) فهيأ لها مكتبة مركزية فيها عيون الكتب والمصادر، ثم انيطت به مسؤولية الترجمة ١٩٤٩ فوضع اسسا لترجمة العلم الى معاهد العراق، وفي عام ١٩٦٣ احال نفسه على التقاعد متصرفا الى شؤون ابحاثه وتراجمه، وكان خلال اربعة عقود انجز تربوية رصينة:

١- اذ اسهم مع كوادر التربية يرسم منهج (المعلم المنشئ) وليس المحاضر.

٢- وعد علما تربويا مع قائمة فاضل الجمالي ومتي عقراوي ومحمد ناصر، – احمد حقي الحلي ... اولئك – كل من زاوية – هندسوا عقل الطالب في لغات او تربية عصرية...!

وكان في حياتها العقلية ثلاثة من اعلام العراق برعوا في إفادته العقلية:

الاب انستاس مارس الكرملي (١٨٦٦ – ١٩٤٧) وتعرفه عام ١٩٣٢ ووظب على مجلسه في كل يوم جمعة، وعلمه الكرملي على طريقة النقد اللغوي وعلى مطابقة النصوص، وفي هاتين الطريقتين اهتدى مسكوني الى طريقته الخاصة في (النبش والتقليب) حين يبدأ التحقيق في كتب التراث او حين يسود شيئا في الرجاليات والبلدانيات.. حتى نجح متفاعلا.

جريدة الزوراء الاسبوعية
الخميس 2001/2/19
العدد (200)